

# عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 128 / 30 كانون الأول 2018



مدينة دير الزور - خاص عين المدينة

[Ayn-almadina.com](http://Ayn-almadina.com)

[facebook.com/3aynAlmadina](https://facebook.com/3aynAlmadina)



## 2018 .. عام البلاء والفرص

كانت سنة الخسائر الكبرى، هذا ما يوسم به العام 2018 الذي يمضي بحمل ثقيل من الخيبات والتطورات المتباينة التي حملت قضية السوريين وحلمهم بالحرية إلى مفازات جديدة وحقول جيوسراتيجية: قد تحدد في العام 2018 مصير الكثير من المفردات السورية التي ازدحمت حولها التناقضات. من الغوطة إلى حوران، ومن دير الزور إلى إدلب، ومن دمشق إلى حلب، ثمّة الكثير مما يحكى، ومما لا يتسع له مجال السرد هنا، ومما بات معروفاً، ومما سيظل مجهولاً لوقت طويل.

في جوهر أحداثها لا تبتعد 2018 كثيراً عن أخواتها السبع الماضيات، فهي وقت ممتد للقتل والإرهاب والقصف العشوائي والكيماوي والتعذيب حتى الموت، الذي يمارسه حلف نظام بشار الأسد ضد السوريين، لكنّها أيضاً رغم كل مآسيها سنة الشطب، التي تلاشى فيها دور الكثير من القوة التي جرّت ثورة السوريين نحو هوامش بعيدة عن قضيتهم الأولى، ونحو مواضع لامست حدود تحميل السوريين وزر ممارسات لا تمتّ لما يريدون بصلته.

2018 عام انكماش جغرافيا "داعش"، وعام تمدد حلف الأسد، عام المصالحات الزائفة، وسقوط مراكز ثورية كان يظن أنها أكثر رسوخاً. وهو عام انكفاء إيران إلى عزلتها، وعام وضع النظام أمام حقائق ثقيلة مثل (إعادة الإعمار، وعودة اللاجئين، وتصريف فائض القوة لدى شبيحته بعد أن اعتادوا على عدم وجود دولته).

تبدو الصورة قاتمة بدون شك، مؤلمة ومثيرة للإحباط، لكنّ هذه لطالما كانت سمة تاريخية تدمغ الثورات الطويلة والعميقة، وفي أشهر الأمثلة وأكثرها إغراء للمقارنة، كان الفرنسيون قد وصلوا بعد سنوات من الدم والمذابح وانهيار الدولة إلى حالة من السوداوية الجماعية، دفعت بعضهم لإطلاق لقب "البلاء العظيم" على الثورة، التي عادت لتغير لاحقاً مسار تاريخ الإنسانية برمته.

يحتمل العام الذاهب إلى التاريخ السوري أن نسميه "عام البلاء" لكنه أيضاً عام إنتاج فرص؛ قد يكون التفكير في استثمارها سبيلاً إلى تغيير أكثر موضوعية، وأكثر اقتراباً من أرض الحلم السوري. هناك الآن - ولأول مرة منذ 2012- تقابل أصيل وجذري بين طغيان يتعجل إعلان انتصاره، وإرادة شعبية معمدة بدماء مليون شهيد للتخلص منه، وهناك هوامش تائهة وضعها السوريون بوضوح في مواضع إرهاب داعم ومواز لمشروع الأسد الإرهابي.

نعم، قد يبدو مسار إعادة تعويم النظام قائماً الآن، لكن مجدداً هناك ما يكفي من السوابق لطفاة توهموا النصر واحتفلوا به ثم سقطوا.

13 البعث بكل ألوانه الداكنة.. خالد في الساحل

3 الهواجس المرعبة في دير الزور.. النزوح مجدداً أو الاستسلام للنظام

14-15 يوماً ما في داريا.. حكاية مكتبة

4 "فيلات" البلدية.. معقل "فاغنر" و"فاطميون" والحرس الثوري في دير الزور

16 الانسحاب الأمريكي

5 كومينات "قسد" سلطة أمنية وتعبوية

17 ماذا ننتظر؟ توقعات لعام يأتي ثقيلاً

10 في حماة حتى المحافظ لا يسلم من "تشبيح" الميليشيات

GETTY

عثمان الفهد

## الهواجس المرعبة في دير الزور النزوح مجدداً أو الاستسلام للنظام

هم مرعب أضيف فوق هموم النازحين والأهالي في القرى والبلدات الواقعة تحت سيطرة "قسد" في محافظة دير الزور، حملته إليهم الأنباء: قرار الرئيس الأمريكي ترامب بسحب قوات بلاده، وما أعقبه من حشود لقوات النظام والمليشيات التابعة للحرس الثوري استعداداً لعملية تسيطر فيها على منطقة "قسد" بدير الزور.

حسب تقديرات، يبلغ عدد السكان في المناطق الخاضعة لسيطرة "قسد" في دير الزور بين (600) و(800) ألف نسمة، بينهم أكثر من (300) ألف نازح من الجزء الخاضع للنظام. تتضارب التوقعات والشائعات والأبناء في أوساطهم، بين من يقول بأن موجة نزوح كبرى ستبدأ -حالما يخلي الأمريكيون مواقعهم- فراراً من قوات النظام والمليشيات، ومن يقول بأن الغالبية من الناس سترضخ للأمر الواقع مكرهة، بعدما فقدت القدرة على النزوح وفقدت الأمل بأي تغيير للأفضل. الأشد تفاؤلاً يصرون على أن "أمريكا لن تنسحب لتسلم كل هالأرض وهالناس لإيران"، ولذلك ستمتد العملية العسكرية التركية المفترضة عميقاً إلى دير الزور، أو سترعى الولايات المتحدة تأسيس قوات جديدة من أبناء دير الزور والرقعة، يتولى طيران التحالف الدولي حمايتها.

لم تعد هذه التصورات تثير اهتمام علي وأمثاله، إذ خابت آمالهم في كل المرات التي اعتقدوا فيها أن وحشية النظام وفضائعه ستجبر المجتمع الدولي على وضع حد له "من أول يوم بالثورة كنا متفائلين على طول، ودوماً كنا نحدد يوم نتوقع بيه سقوط النظام.. وما سقط"

في المنزل الذي استأجره علي ب"سعر مناسب" حسب ما يقول، وهو ينبه زوجته بأن تضيف غطاء آخر فوق الطفلة النائمة التي لم تكمل عامها الأول بعد. "ما أقدر أرجع عالنظام.. مستحيل".

تساور أهالي القرى والبلدات في منطقة "قسد" بدير الزور المخاوف ذاتها، ويدور جدل بين أفراد كل أسرة عن الفعل المناسب في حال تأكدت عودة النظام: يغادر الشبان المطلوبون أمنياً أو للخدمة العسكرية أو للاحتياط، ويبقى الرجال الأكبر سنّاً والنساء والأطفال؛ ويبدو أن هذا خيار الأغلبية إلا من يصدق وعود "سماسة المصالحات" بتابعياتهم المختلفات، لأجهزة المخابرات، أو للحرس الثوري الإيراني؛ إذ ينشط كل من نواف البشير وطارق ياسين المعيوف، وغيرهما من قادة الميليشيات التابعة للحرس أتباع الإيرانيين، في إعطاء عهد وتطمينات كلاً في دائرته الاجتماعية، وكذلك يفعل الوسطاء التابعون لمخابرات النظام.

لا يمكن لعلي حسب ما يقول أن يقبل بالعيش مجدداً تحت سلطة النظام، لكن "وين نروح" تعيد زوجته السؤال المير ذاته، ليرد بأن لديه خيارات: "مناطق درع الفرات بحلب" وإن استطاع سيكمل إلى تركيا، وإلا سيقم هناك.

"وين نروح" يتساءل علي (43) عاماً، وهو النازح منذ (6) سنوات من منزله في حي الحميدية في مدينة دير الزور، إلى الميادين أولاً ثم إلى العشارة فالبوكمال، وفيها تنقل من منزل إلى آخر، حتى ربيع العام الماضي، ليستأنف حينها رحلة نزوحه من قرية إلى أخرى مروراً بمحطات في خيم في بادية الجزيرة، ليحط به المطاف أخيراً ومنذ عدة أشهر في بلدة الجزرات بالريف الغربي.

تقول زوجته بأنها تعبت ولم تعد قادرة على النزوح مجدداً، وبأن الخيارات أضحت محدودة باحتمال واحد هو العودة إلى بيتهم نصف المدمر في دير الزور بعد أن يسوي زوجها وضعه، "مثله مثل غيره من هالناس المطلوبين اللي راح يقعدون ويسكتون". لا يستطيع علي أن يسكت، والسكوت هنا يعني الاستسلام لما يسمى "تسوية الوضع" أو "المصالحة" بالاستجابة لوسطاء النظام الأميين، ثم بتقديم طلب عبرهم، ثم برحلة تحقيق واستجواب تطول وتقتصر حسب قوة ونفوذ الوسيط لدى أجهزة الأمن.

"من سمعتوا خبر الانسحاب.. ما قعد أنام.. أظل طول الليل قاعد.. أفكر بهالويلاد" كان الأكبر من أطفال علي ينصت لحديث أبويه، فيما يتدافع الاثنان الأصغر في الغرفة الواسعة والباردة والوحيدة

## فيلات البلدية

### مقل «فاغرن» و «فاطميون» والحرس الثوري في دير الزور

مصطفى غنام ■ خلال السنوات الماضية تغير حي "فيلات البلدية" في مدينة دير الزور عما كان عليه قبل العام (2011)، إذ تحوّل في السنوات الماضية إلى حي عسكري تقريباً، بتحويل بيوته الفخمة إلى مكاتب ومساكن لكبار الضباط القادمين إلى دير الزور من جيش النظام، ولقادة الميليشيات بأنواعها المختلفة، وكذلك بعض أثرياء الحرب من أبناء المدينة، ولبعض المنظمات والمراكز المدنية التابعة لحلفاء النظام الإيرانيين والروس.

خاصة للحرس الثوري وحزب الله، ومن العراق عبر الميليشيات الأخرى، التي تأخذ أسماء عدة يقرأ بعضها من لوحات صغيرة على مداخل بعض الأبنية، كتبت بالفارسية كـ "شهداء برم هنده" العبارة المكتوبة في لوحة صغيرة معلقة على باب أحد مقرات "فاطميون"، وباللغة العربية كـ "المقاومة الإسلامية- حركة النجباء" و"سيد الشهداء" و"الأبدال"

ابتداء من النصف الأول من عقد التسعينات، بدأ المكتتبون على جمعية سكنية نشأت على مراحل تابعة لبلدية المدينة- بتسلم منازل من طابقين صممت على نموذج "الفيلا". وفي العقدين السابقين للثورة شكل المهن الرفيعة، من أطباء ومهندسين ومحامين ومقاولين وتجار- إضافة إلى المسؤولين- أغلبية سكان الحي الذي

خلف جامع الفتح في طرف حي "الفيلات" ينشط المركز الثقافي الإيراني منذ افتتاحه في شهر آذار الماضي، بإقامة فعاليات متنوعة، فكرية بمحاضرات عن المعنى "الإنساني لعاشوراء" أو المعنى "البطولي للحركة التصحيحية"، وتعليمية بدورات تعليم للغة الفارسية، وخيرية بتوزيع سلال غذائية على عوائل القتلى والجرحى بقوات النظام، ورياضية بتشغيل شاشة كبيرة تتيح متابعة مباريات كرة القدم المنقولة عبر قنوات تلفزيونية ماجورة مجاناً للشبان والصبية مع الضيافة بسعر رمزي.

فرقة المقاتلين المرتزقة الروس "فاغرن" تتخذ من إحدى الفيلات الفخمة مقراً إدارياً ومسكناً يقيم فيه بعض قادتها، وعلى الباب يوزع الحراس، الذين يشبهون في وجوههم وهيئاتهم رجال العصابات، نظرات قاسية على الجميع. فيما تظهر على وجوه عناصر ميليشيا "لواء فاطميون" الأفغاني، التي تحتل هي الأخرى عدة "فيلات" متجاورة في الحي، علامات البؤس والجوع واللجوء الطويل في إيران قبل انتسابهم إلى هذه الميليشيا ليقاتلوا في صفوفها في سورية. في فيلا الجماعة الأولى تقام أحياناً- خاصة في أعياد الميلاد والفصح- حفلات صاخبة تعلق خلالها من مكبرات صوت داخلية أغنيات باللغة الروسية. وفي "فيلات" الجماعة الثانية تقام أيضاً حفلات من نوع آخر يسمع فيها أيام المناسبات الدينية التي يقدها الشيعة، أناشيد ولطميات بلغة الهزارة الفارسية.

منذ انتقاله إلى دير الزور في العام 2014 استولى عصام زهر الدين على إحدى الفيلات وجعلها مسكناً ومكتباً له، وفي أوقات فراغه كان يحلو لزهر الدين، أن يتدخل في حل إشكالات خدمية في الحي والفصل في شجارات ونزاعات قادة الميليشيات مع بعضهم البعض.

وغيرها كثير. ومع هذا التشكيل السكاني متعدد الجنسيات، يحاول عناصر الأمن والميليشيات السورية- وكذلك السماسرة ومقدموا الخدمات من أبناء المدينة- التكيف بتعلم المفردات والعبارات اللازمة من اللغتين الفارسية والروسية، ويبدون أقصى درجات اللطف والاحترام لـ "زملائهم" من "فاغرن" و"فاطميون" والحرس والحزب و"الفصائل المجاهدة"، ونتيجة التكتّم والغموض أحياناً في طرائق عمل تلك الميليشيات التي تحرص على إخفاء الأسماء الحقيقية للمنتميين إليها، تنحصر معارف السوريين عنها بالألقاب الحركية لما يعرف بـ "الحجاج" في الميليشيات التابعة للحرس الثوري، وبأسماء متكررة في فرقة فاغرن ولبعض القادة والجنود الروس الذين يظهرون هم أيضاً على نحو دائم في الحي.

صار واحداً من الأحياء الراقية في المدينة. وأضاف وقوع المبنى الجديد آنذاك لفرع أمن الدولة في الطرف الجنوبي للحي نوعاً من الرهبة، إلى جانب الغرابة التي تفرضها رؤية هنود أو أوروبيين أو أفارقة حتى من موظفي شركات النفط العاملة في دير الزور، التي استأجرت "فيلات" في الحي لتجعلها مكاتب أو مساكن لموظفيها الأجانب أو لبعض المديرين السوريين من المحافظات الأخرى.

قبل العام 2011 وخلال عقدين من الاكتمال السكاني لنشوئه، لم يتح لهذا الحي أن يكتسب هوية أو شخصية خاصة تميزه عن باقي أحياء المدينة، وإلى حين اندلعت الثورة ثم الحرب ثم الحصار، لينقلب المشهد بمغادرة معظم سكانه وقدم سكان جدد من روسيا وأفغانستان بجماعتي فرقة "فاغرن" و"لواء فاطميون" ومن إيران ولبنان بمكاتب ومساكن

## كومينات «قسد» سلطة أمنية وتعبوية

عدنان الحسين

كان الخيار صعباً: إما الخروج في المظاهرة ونيل مادة المازوت بشكل مخفض، أو الاستغناء عن التخفيض

وشراؤه من السوق السوداء بسعر مرتفع. خيارات لا ثالث لهما أمام أبو محمد مع اشتداد موجات البرد في مدينة منبج، بعد أن أجبره رئيس كومين حيه في طريق الجزيرة على الاختيار بين الخروج في مظاهرة ضد تركيا أو عدم بيعه المازوت المخفض من قبل رئيس الكومين جاسم البكار في حي طريق الجزيرة.

يقوم رؤساء الكومينات بمهام يصفها المدنيون بأنها مهام الجواسيس أو (الفسافيس) بحسب اللهجة المحلية، فالكومينات "مركز رفع التقارير ضد المدنيين للجهات الأمنية في قسد"، كما يقول المحامي أحمد العلي من مدينة منبج لعين المدينة.

ويوضح العلي بأنه "لو تم التمعّن في الكومينات التي تم إنشاؤها عن طريق الإدارة التابعة لـ pyd سنجد عكس مهامها المفترضة تماماً، والجميع عاشر مآسي الكومينات في منطقته ويدرك تماماً كيف أن مهمتها معاكسة لما هو مطلوب منها، لا بل هي سبب بلاء للأهالي". ويشرح بأن الكومين أصبح مكاناً لرفع التقارير للجهات الأمنية بكل شخص لا يقدم الولاء المطلق لرئيس الكومين أو أعضائها، عدا عن ربط كثير من الإجراءات الروتينية بتوقيع من رئيسها، ويتم عن طريقها "محرابة المواطن في لقمته عيشه تحت شعار (ترضخ لنا أو نذل)" كما في دفع الناس للتظاهر وحضور ندوات حزب سوريا المستقبل وحضور ورشات العمل التي تجريها الإدارة الذاتية أو قسد.

ويشير العلي إلى أن الكومينات نظمت بشكل جيد تقديم الخدمات للمدنيين عبرها حصراً، لتستغلهم بذات الوقت من أجل أهداف سياسية بحتة، عدا عن السرقات الكبيرة التي حصلت وتحصل للمساعدات الإنسانية. ويتخوف مما قد تسبب به الكومينات مستقبلاً بوقوع مشاكل كبيرة بين أبناء الحي أو القرية، خاصة في منبج التي تبدو على أعتاب تغير كامل في السلطة الحاكمة لها.

ولا تقتصر مهام الكومينات فقط على المتابعة الأمنية لأبناء المدينة، بل من مهامها معرفة كافة النازحين الذين يقصدون الأحياء أو القرى التي تتشكل فيها، والتأكد من وجود (ورقة الكفالة)، وفي حال عدم وجود هذه فإنهم يبلغون الجهات الأمنية التي ترحلهم أو تجبرهم على شراء الكفالة من أحد السكان الأصليين، كما أن عمليات تأجير المنازل لا يمكن أن تتم إلا بموافقة خطية من الكومين المسؤول.

أنشأت الإدارة الذاتية حتى نهاية 2017 أكثر من 3000 كومين في مناطق سيطرتها، بحسب ما تداولت وسائل إعلامية، وزاد هذا العدد بشكل كبير بعد سيطرتها على مدينة الرقة ومناطق واسعة في ريف دير الزور. وتواجه هذه الكومينات تهماً كثيرة من قبل المدنيين تصل إلى وصفها بأنها البديل الرسمي للمفارز الأمنية والفرق الحزبية إبان سيطرة نظام الأسد، والإشارة إلى أن معظم رؤساء تلك الكومينات من الأشخاص الأميين أو الذين لا يملكون إلمام يخولهم في شغل مسؤوليات مجتمعية.

يقول أبو محمد (48 عاماً) من أبناء حي طريق الجزيرة في مدينة منبج لعين المدينة، "رئيس كومينا هددنا كلنا بشكل واضح. قال كل إنسان ما يخرج بالمظاهرة ضد تركيا ما رح يكون إله لتر مازوت من الكومين وخليه يشتري من برا". ويوضح أبو محمد بأن عملية التهديد ليست جديدة، ففي كل مرة تقام فعالية خاصة (بقوات سوريا الديمقراطية "قسد") للسيطرة على المدينة لأبد من المشاركة فيها، وإلا "يرفع بك تقرير للاستخبارات وقيادة قسد الأمنية".

اضطر أبو محمد للمشاركة في المظاهرة التي دعت إليها قسد في منبج بسبب سوء وضعه المادي وعدم مقدرته على شراء المازوت من السوق السوداء، خاصة أن سعرها يصل فيها إلى ضعف سعره لدى الكومين، ويقول: "كان الخيار صعباً رغمًا سهولته.. نحن مالنا بهاي الأمور لا من بعيد ولا من قريب، بهمنا معيشتنا وبس، لكن إذا بدك تعيش لازم تساير الجميع، لهيك طلعت بالمظاهرة".

أبو محمد الذي فضل عدم ذكر اسمه الحقيقي خوفاً على حياته، ليس الوحيد الذي خضع لتهديدات الكومين، فياسر العمر (52 عاماً) كذلك أجبر على مراجعة الكومين عدة مرات من أجل ابنه الشاب، حيث تم تبليغه بضرورة التحاقه بالتجنيد الإجباري الذي فرضته قسد في منبج مؤخراً وإلا سيتعرض للغرامة المالية هو وولده. يقول في حديثه لتربيته الذي يعيش في تركيا، كما أخبرنا بذلك قريب، "لا أعرف كيف علموا بوجود ابني رغم أنه قدم من تركيا قبل مدة بسيطة، ولا يغادر المنزل. ما هي إلا أيام حتى جاءني رئيس الكومين يبلغني بضرورة التحاقه بالتجنيد الإجباري".

وتعرّف الكومينات بحسب نظام الإدارة الذاتية بأنها مجموعة من الناس في الحي أو القرية يقومون بإدارة أمورهم الحياتية ومعالجة مشاكلهم من الناحية الثقافية والصحية والاجتماعية والصناعية والاقتصادية والزراعية. كما يعرف الكومين بأنه العمود الفقري (للإدارة الذاتية الديمقراطية والفيدرالية الديمقراطية) التي تسعى إليها، فهي إدارة مصغرة عن الإدارة الذاتية. ومن هذا التعريف يمكن استنتاج الصلاحيات الواسعة لمسؤولي الكومين، الذي يشبه في عمله المباشر أمام الأهالي وشكله الخارجي المخاطر في الأحياء، لكن يبدو من داخله بأنه سلطة أخرى تمارس مهامها بشكل عام.

رغم المفهوم العام والجميل الرنانة المعرفة للكومين فإنه بات يعتبر سلطة أمنية أخرى على رقاب الناس في مناطق سيطرة الإدارة الذاتية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي pyd، حيث

"نحن الظاهر

عطيناكن

وش كثير

انتو المدنية"

بهذه الكلمات علق

العنصر في أحرار

الشام بلباسه العسكري

المتوشح بمسدسه على

فعله الشنيع بضرب

مدير المدرسة وراء مكتبه،

الأمر الذي سبب صدمة لكل

الحاضرين من أطفال وأولياء

أمورهم والمعلمين. كلمات

أسكتتهم جميعاً تحت سطوة

السلح المعلق وصدمة الفعل بحد

ذاته، خاصة للأطفال الذين شاهدوا

معلمهم يتلقى تلك الصفعة.

من الإنترنت مدرسة في ريف عفرين

## التنمر على المعلمين في ريف عفرين

■ شاهين العثمان

ويتابع المصدر الذي يرى في الحديث عن حوادث وقعت لمعلمين بعينهم قد تعرضهم للخطر ويفضل لذلك لفت الانتباه فقط إلى الشناعة في تلك الحوادث، أنه في فترة سابقة وفي نفس المدرسة تهجم أحد أولياء الأمور التابع لفصيل عسكري مطالباً أن يحاسب بنفسه المعلمة التي يدعي أنها ضربت ابنه في الصف الرابع، ليتم تدارك الأمر بمنع ذلك من قبل الإدارة. ولم يقف الأمر عند الآباء، فانتقلت عدوى الحلول العنيفة والتهديد بالسلح إلى الآباء، لتقوم طالبة في الصف الثاني بتهديد أستاذها بوالدها القائد.

بعد حادثة ضرب المدير والاهتمام الذي لقيته من مسؤولي جنديرس، طالبت الشرطة العسكرية فصيل أحرار الشام بتسليم العنصر، وأودع في السجن مع عناصره الذين رافقوه لـ "شحط" المدير -إثر التحرك- لحماية الكادر التدريسي بأن "المدارس حرم عام يمنع الاعتداء عليه أو إدخال السلح إليه"، وخصصت دورية يومية لحماية مدرسة خالد بن الوليد، أما قائد أحرار الشام فاعتبر الأمر قضية حق عام يجب أن تتابع مجراها القانوني بعد أن أسقط المدير حقه (خوفاً على نفسه؟)، مقدماً شديداً الاعتذار واعداً بعدم تكرار ذلك الفعل، فهل سيمنع ذلك من تكراره حقاً؟.

اصطحبت الشرطة العسكرية المدير لتقديم ضبط بالحادثة (ربما لحمايته لحظتها)، ترافق ذلك مع انسحاب أبو محمد وعناصره، ثم إعلان المدرسين تعليق الدوام وتوقيع عريضة استنكار وقّع عليها الجميع وحملوها إلى الجهات المسؤولة في جنديرس، فاجتمعوا بقائد الشرطة العسكرية والقاضي العام وقائد الشرطة المدنية، الذين وعدوا بحل المشكلة واتخاذ التدابير اللازمة لمنع تكرار مثل هذا الحادث، مع طلبهم من مكتب التعليم في المجلس المحلي عدم إيصال الأمر إلى الإعلام، كما تروي مصادر خاصة لمجلة عين المدينة، أما الطلاب فأظهر بعضهم تعاطفهم من خلال محاولة مواسة المدير، وتخوف البعض من وضع المدرسة بعد الحادثة الأخيرة وأبدى البعض رغبته بتركها نهائياً.

كان من الممكن أن تمر الحادثة دون أن تجلب اهتمام أحد، مثلما حدث في مرات سابقة جرى فيها الاعتداء على مدرسين في جنديرس (وغيرها في المنطقة؟)، كما يشرح أحد المطلعين على الحادثة والمقربين من كادر مدرسة خالد بن الوليد لعين المدينة، فقبلها بأيام اعتدى عدد من عناصر فصيل فيلق الشام على مدير مدرسة أخرى بالضرب المبرح في بستان الزيتون الخاص به، و"الحجة كانت مشكلة في البستان، لكن السبب الحقيقي مشكلة في المدرسة؛ ليعود هذا المدير لإسقاط حقه خوفاً على نفسه، وتحت التهديد من قبل العناصر باتهامه أنه ينتمي لحزب العمال الكردستاني"، ما دفع القضاء لإنهاء القضية بسبب إسقاطه لحقه دون البحث وراء الحق العام.

دوت الصفعة في إدارة مدرسة خالد بن الوليد يوم الأحد 16 من كانون الأول في مدينة جنديرس في ريف عفرين الغربي، إثر دخول المدعو أبو محمد (عنصر في أحرار الشام) بسلاحه الحربي لتسجيل أبنائه في المدرسة. ولأن الإدارة مزدحمة بعدد كبير من الأهالي برفقة أطفالهم لتسجيلهم في المدرسة، فقد طلب أبو محمد من مدير المدرسة الأريعييني الأستاذ يوسف أن يسجل له أبنائه أولاً قبل الحاضرين؛ كانت ردة فعل المدير طبيعية (أن التزم النظام كما باقي الأهالي وأغلبهم من النساء)، ما جعل أبو محمد يستشيط غضباً رغم محاولة المدير تدارك الأمر وتهديته، لكن كانت النتيجة صفع المدير أمام أنظار الطلاب وذويهم والمعلمين.

هكذا تروي الحادثة في أروقة المدرسة، كبرى مدارس ريف عفرين وتضم قرابة 1800 طالب من الصف الأول إلى التاسع، ويضاف إليها الكثير من التفاصيل، فالأمر لم يقف عند هذا الحد، بل زاده أبو محمد بتوعد المدير بـ "شحطه" من المدرسة مغادراً بعد التهديد والوعيد، ما دفع المدير إلى الاتصال مباشرة بعدة جهات أمنية طلباً للحماية، فلم يكده يعود أبو محمد بصحبة عدة عناصر إلا وتلاه مباشرة وصول دورية الشرطة العسكرية، لتصبح باحة المدرسة تعج بالسلح وسط كل تلك الفوضى، ووصل الأمر لحد تلقيم السلح بحضور عدد كبير جداً من الطلاب من مختلف الأعمار مما تسبب بحالة هلع شديدة بينهم.

كنت أدرس قبل الثورة، لكن الظروف أجبرتني على العمل" قال سامر، الذي تتلخص مهمته في تنظيف الأخشاب ونزع المسامير منها وجمعها؛ "العمل محدد بـ 7 ساعات مبدئياً، ولكننا نعمل في كثير من الأحيان حتى منتصف الليل إذا كان لدينا تجهيز سقف جديد" يوضح محدثنا الذي تابع قائلاً "ساعات العمل تزيد أما الأجرة فتأبته".

عمير مهجر من داريا استطاع الحصول على فرصة عمل في مكتب للحوالات بدوام جيد، لكنه لم يستمر بالعمل لأكثر من شهر؛ "عندما بدأت بالعمل لم أسأل عن الأجرة، ولكن لم يخطر ببالي أن أتقاضى أقل من 100 دولار شهرياً" يشرح عمير بساطة قناعاته قبل الدخول إلى سوق العمل. موضحاً أن "رزم الدولارات كانت تتطاير أمامي، فالمكتب الذي عملت فيه يعتبر من أضخم محلات الصرافة والحوالات، ولكن أجرتي كانت بالليرة السورية وهي 1000 لليوم الواحد، والعطل غير مأجورة". صاحب العمل لم يقبل النقاش مع عمير حين طالب بزيادة الراتب، كان رده مقتضباً "عنا شغيل أكبر منك وصار لو 5 سنين معنا وبياخد 1400 بالأسبوع" ما دفع عمير لترك العمل.

#### الدولار رفع كل شيء عدا الأجر

تناقصت القيمة الشرائية لليرة السورية أمام ارتفاع أسعار السلع والخدمات، حتى تجاوز مستوى التضخم منتصف السنة الماضية 790 بالمئة بحسب إحصاء المكتب المركزي للإحصاء التابع للنظام، فتأثرت أسعار جميع أنواع المواد بالارتفاع أضعافاً، في حين لم تختلف الأجور باختلاف الواقع. الصحفي أسامة الشامي قال بأنه أثناء عمله يتعرض لبعض الأفكار كترجع بعض المهن أو المشاريع التجارية، وأثناء الحديث مع أصحابها يشكون من عدة ظروف كغلاء المواد وقلّة الطلب بالإضافة إلى غلاء اليد العاملة، الأمر الذي يتوقف عنده أسامة مطالباً محدثيه بأرقام وإحصائيات فيقفون دون إجابة. "تستطيع القول إن كثرة اليد العاملة يمكن أن تقلل من أهميتها، ولكن جشع أصحاب العمل عامل أساسي في تدني الأجور يوضح أسامة، ويردّد "دائماً يحتج التاجر أو المزارع عندما يرفع سعر سلعته بارتفاع الدولار، وبالتالي فإنه يستوفي حقه وينسى حقوق العامل الذي لا يزال أجره على حاله، و بالليرة السورية التي أصبحت إلى حد ما معدومة القيمة" أما السلطات الحاكمة التي تفرض سيطرتها على محافظة إدلب (هيئة تحرير الشام) فتشرّع قرارات وقوانين يغلب عليها الصفة الأمنية، في الوقت الذي لم يتطرق جهة تابعة لها لموضوع العمالة لحدّه بنظم وتوجيهات من الممكن أن تحفظ حقوق العمال المهذورة.



## العمالة في إدلب بين قلة الفرص وجشع أصحاب العمل

شمس الدين مطعون

كان نتوجه مئات آلاف العوائل المهجرة والنازحين من المحافظات والأرياف المجاورة إلى إدلب أن أخلّ بسوق العمل في المحافظة، بتوفير الأيدي العاملة المحتاجة للعمل بشكل كبير في الوقت الذي تراجع فيه مصادر الدخل والمشاريع الحيوية، تلك الفجوة وصلت بالأمور إلى الحد الذي لم يترك أي مجال (لنواورة عمالية) لأنها ببساطة ستودي بأصحابها إلى الطرد.

هذه الفئة -المعتمدة على القطاع الخدمي في دخلها- يعيشون حالة مستقرة نسبياً، ويتمتعون بدخل جيد نتيجة ازدهار أسواق المنطقة بعد توافد ملايين المهجرين إلى المنطقة.

#### فرص العمل المتوفرة

بعيداً عن الأعمال العسكرية وما يتعلق بها من مهن، باتت فرص العمل في الغالب مقتصرة على المواسم الزراعية التي لا تتجاوز بضعة أشهر، فموسم الزيتون شهران وحصاد الحنطة لا يتجاوز الشهر، وضمن هذه الفترة تتوفر الفرص لأيدي عاملة تكوّن وتعمل دون أن تنصف بمقابل منصف.

أبو محمد معيل لأسرة من أربعة أطفال، يعمل منذ الساعة السابعة صباحاً وحتى الساعة الثالثة بعد الظهر في جني محصول الزيتون كأجير باليومية (مياوم)، أجواء البرد وعدم الراحة سوى لنصف ساعة لتناول "لقمة" يجلبها العم أبو محمد معه تجعل العمل شاقاً جداً، في حين لا يعوض الأجر الذي يحصل عليه آخر النهار تعبته؛ "1800 ليرة سورية لا تكفي لشراء أغراض طبخة واحدة" يقول أبو محمد، الذي قد يخسر عمله في حال اعترض على الأجر أو عدد الساعات، وأول كلمة يسمعها من صاحب العمل "ألف واحد عم يدور على شغل، وانعرض علي عمال بأجرة أقل".

بينما يعمل سامر (25 عاماً) سبع ساعات يومياً في نجارة الباطون، ويتقاضى 2000 ليرة كأجر؛ "لم أمتد على هذه المهنة،

تجاوز عدد السكان في الشمال السوري (محافظة إدلب وريف حماه المحرر) 3,5 مليون نسمة، وبلغت نسبة البطالة 80 بالمئة، وفق إحصاءات (منسقى الاستجابة في شمال سوريا)؛ ربما كانت هذه الأرقام كافية لتكوين صورة عن الحال التي وصلت إليه سوق العمل في هذه المناطق.

يمكن البحث عن أسباب شح المشاريع الكبيرة -ومصادر الدخل على العموم- في حالة عدم الاستقرار التي تشهدها المنطقة منذ تحريرها، أما في الماضي فكان اعتماد الأهالي على عدة مصادر دخل أبرزها المواسم الزراعية، والتي تتركز في منطقة سهل الغاب في ريف حماة وحتى أطراف ريف إدلب الجنوبي، ويعد سكان هذه المنطقة من أصحاب الأراضي الذين اضطروا مع احتدام المعارك على أطراف إدلب وريف حماة إلى ترك أراضيهم والنزوح إلى المخيمات.

كما يعتمد الأهالي في المنطقة الوسطى على مواسم الكرز والتين والزيتون لكنها لا تعتبر دخلاً رئيسياً، إذ يلجأ الكثيرون للسفر إلى المحافظات الكبرى (حلب ودمشق) للبحث عن العمل، أو السفر إلى خارج سوريا خاصة لبنان والسعودية، ويمكن النظر إلى أبناء هذه الفئة على أنهم الأكثر تأثراً وتراجعا لدخولهم بسبب أجواء الحرب التي تسببت باحتجازهم ومنعهم من التنقل والسفر الموسمي.

بينما يتركز أصحاب الصناعات الخفيفة والمحلات التجارية في المدن الرئيسية للمحافظة (إدلب المدينة والمعرة) ولا يزال أبناء

# قلوب مبصرة للمكفوفين

بعدة الكاتبة

## جمعية (قلوب مبصرة) لرعاية المكفوفين في الشمال السوري

سونيا العلي ■ أدى قصف النظام السوري خلال سنوات الحرب إلى إصابة آلاف السوريين، وبات الكثيرون في عداد المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة، ومنهم من فقد البصر، لذلك تم افتتاح جمعية قلوب مبصرة

بالصبر وواجهت متاعب الحياة بهمة عالية، حيث عدت مجدداً لدراسة اختصاصي في هندسة المعلومات في جامعة حلب الحرة، وتم قبولي استثنائياً من إدارة الجامعة مراعاة لحالتي الصحية ووضعي الخاص". يؤكد طلحة بأنه أصبح بعد فترة وجيزة من الطلاب المتميزين، كما أتقن عدة برامج إلكترونية تخدم المكفوفين، وقد قام بترجمة برنامج ناطق مخصص لأجهزة الأندرويد إلى اللغة العربية وتحمله على هواتف المكفوفين الذين يرتادون الجمعية، بحيث يمكنهم البرنامج من استخدام الإنترنت ومواقع التواصل من خلال تحويل كل ما يظهر على الشاشة إلى صوت.

محمد (15 عاماً) فقد بصره لكنه لم يفقد الأمل بالحياة، والإصرار على تحقيق حلمه بإكمال تعليمه، لذلك انضم إلى جمعية قلوب مبصرة، وعن ذلك يقول: "صحيح بأنني فقدت بصري لكنني لم أفقد عزيمتي، وقد وجدت في الجمعية من يشعر بمعاناتي، ويسعى إلى مساعدتي على تحقيق ذاتي عن طريق الدمج الاجتماعي والدعم النفسي". ويبين محمد بأنه يتدرب في الجمعية على كيفية استخدام الهواتف الذكية واكتساب خبرة جيدة، إضافة إلى تعلمه كيفية تحسس أيقونات الهاتف واستخدامها بشكل صحيح.

ومن المنضمين إلى الجمعية عبد القادر الحسن (31 عاماً) من بلدة عينجارة بريف حلب الغربي، وعن الفائدة التي حصل عليها يقول: "رغم الظروف الصعبة نحاول أن نشق طريقنا لنجد لأنفسنا مكاناً في المجتمع، ونكمل حياتنا كغيرنا من المبصرين، حيث كنت فيما مضى أعيش حياة يأس وعزلة بسبب إصابتي وأمتنع عن الخروج من المنزل، وبعد انضمامي للجمعية تغيرت حياتي نسبياً، وأصبحت أمارس النشاطات الرياضية وأستخدم الهاتف المحمول بشكل جيد، كما أتلقى مع زملائي دورات لمحو الأمية بلغة البرايل وكيفية النقش على اللوح". جمعية قلوب مبصرة هي بيت المكفوفين في الشمال السوري لمساعدتهم في الخروج من عزلتهم وتغيير نظرة المجتمع لهم، إيماناً من القائمين على الجمعية والمنضمين لها بأنه لا يأس مع الحياة، لكن من غير الممكن التنبؤ بمدى إمكانية استمرارها في العمل مع عدم توفر الدعم الكافي، وفي منطقة لا يبدو مستقبلها الأمني أو العسكري يساعد في استمرار مثل هذه النشاطات.

بجهود تطوعية في بلدة عينجارة بريف حلب الغربي، وترخيص من مجلس محافظة حلب الحرة للعناية بالمكفوفين وتسهيل اندماجهم في المجتمع، والنهوض بهم نفسياً وتعليمياً وثقافياً وطبياً، في ظل سعيها أيضاً إلى دمج المكفوفين في جميع المجالات التنموية والاقتصادية والرياضية والحرفية التي يستطيعون من خلالها خدمة أنفسهم ومجتمعهم، والتحول من مستهلكين إلى منتجين فعالين في المجتمع.

أحمد خليل المدير التنفيذي للجمعية يتحدث عن أهدافها بقوله: "نظراً للظروف النفسية والحالات المعيشية المتردية التي يعاني منها المكفوفون، ونتيجة احتياجاتهم المادية والمعنوية والصحية، وفي ظل عدم تقبل المجتمع لهذه الفئة وقلّة العناية بهم، قررنا إنشاء الجمعية للتعامل مع المكفوفين ومتابعة احتياجاتهم طبياً وإغاثياً، ومنحهم حقائب تدريبية إلكترونية عن طريق الهواتف الذكية، لتساعدهم في مسيرة حياتهم اليومية وتسهيل اندماجهم في المجتمع".

ويشير خليل إلى أن المركز استقبل 230 كفيفاً، يسعى القائمون عليه إلى إخراجهم من حالة العزلة والانطوائية، وتسهيل وصولهم إلى مصادر المعرفة التقليدية والرقمية والتكنولوجيا الحديثة، حيث يتم تدريبهم على استخدام الهاتف على برامج التواصل الاجتماعي وتنمية مهاراتهم، إضافة إلى تقديم الدعم النفسي لهم والتدريب على الحاسوب، فضلاً عن أنشطة أخرى مثل مباريات الشطرنج وكرة الجرس (وهي عبارة عن كرة اليد أو القدم وقد وضع بداخلها جرس).

وعن الصعوبات التي تواجه عمل الجمعية يضيف: "تواجه الجمعية صعوبات عدة خلال عملها، منها عدم توفر الدعم الكافي، ووسائل النقل اللازمة لنقل المكفوفين من البلدات المجاورة إلى مقر الجمعية، إضافة إلى النقص في الأجهزة الإلكترونية.

الشاب أحمد طلحة (25 عاماً) أحد المكفوفين الذين ساهموا في تأسيس الجمعية، وقد شكلت الإصابة في حياته حافزاً لتطوير قدراته ومساعدة من يعانون من الحالة ذاتها، وعن تحدي الإعاقة يتحدث طلحة بقوله: "في مطلع 2012 فقدت كلتا عيني نتيجة إصابة حربية، ورغم ذلك لم أستسلم لليأس، بل تحليت





لم يمض على  
سماعي الخبر ووصولي  
إلى مركز شرطة عفرين  
أكثر من عشر دقائق،  
كنت وصلت إليه لجلبه إلى  
عائتي لأنني أعرف مدى حاجته  
للحليب أو صدر أم يُرضعه ويحنو  
عليه، وكلمة احتضنته في صدري،  
واستنشقت رائحته تتسارع دقائق  
قلبي بانتظام لا أعرفه إلا في لحظات  
فرحي بطفولتي، ويكفي أن أنظر إلى  
عينيه الواسعتين حتى تشتعل في قلبي أنوار  
تجعلني أمضي راشداً.

## رمي أطفال حديثي الولادة في المناطق المحررة.. هل نحن أمام ظاهرة؟

■ عائشة صبري

بهذه الكلمات المؤثرة، بدأ محمد الحمدة أحد أفراد شرطة عفرين حديثه لعين المدينة عن الطفل اللقيط حديث الولادة، الذي وصل إلى مركز شرطة مدينة عفرين شمالي حلب عبر شخص عشر عليه في دوار نيروز بجانب روضة الأزهار في المدينة بتاريخ 22 / 10 / 2018 وأكد الحدو خلال حديثه أنه سيستمر في كفالتة ورعايته.

وقال الحميدو: "زوجتي شاركتني باتخاذ القرار فوراً، فكفالتة الطفل أجر عظيم، وهي والدته اليوم بالرضاعة، ولا تستطيع مفارقتها مع طفلتنا التي تكبره بخمسة أيام، وكلما أتى ذكره بأي كلمة عن أهله تتغير خوفاً من فراقه، وقد أسمىته عمراً، ودعوت الله أن يكون رجلاً صاحب شأن، هو في قلبي ثورة لوحدته لمن فهم معنى الثورة، وسأبذل ما استطعت لتربيته، فالوضع بالنسبة لنا أكبر مما تتصوره عقول، هو إحساس ومشاعر لا يمكن وصفها بكلام، ومنذ دخوله منزلنا لم تفارقنا الابتسامة".

وتابع حديثه: "حاولت التفكير جاهداً لمعرفة السبب وراء رمي طفل، يبدو أنه أمر يطول شرحه في مجتمعاتنا، لكن أكبر مشكلة تواجه هؤلاء الأطفال هي النسب، فلا القانون السوري ولا التركي يجيز ضمه لعائلة، والشرع والقانون اتفقا في قضية تسجيل قيده، فذلك لوحدته قضية كبرى وجب حلها شرعياً وإنسانياً، وأطالب القانون بأن يجد حلاً مع مراعاة الخصوصية للأم المرضعة".

وفي هذا الصدد أوضح القاضي خالد شهاب الدين رئيس هيئة القانونيين السوريين الأحرار لعين المدينة: أن نظام الأسد

انتشرت الظاهرة كذلك عندما كانت مدينة حلب محاصرة، ويرجع السبب إلى الخلفية الاقتصادية والتعليمية لوالدي الطفلين.

عبد الوهاب عاصي باحث في مركز جسور للدراسات، تطرق خلال حديثه لعين المدينة عن الأسباب، إذ تتعلّق في معظمها بظروف الحرب وأخرى أقدم منها، أهمها طبقة وسطى، مقابل انتشار الطبقة الفقيرة، وبالتالي يصبح إنجاب الأطفال حملاً إضافياً عليها حينما لا تجد العوائل الحد الأدنى من القدرة على العيش، ما يدفعها لاتخاذ قرار برمي الأطفال في الأماكن العامة والتخلي عنهم.

ويضيف "عاصي" إلى الفقر عدم وجود إرشادات كافية للأسرة حول عملية الإنجاب، وبالتالي يحصل الحمل في ظل احتمال غياب وجود رغبة لدى الزوجين، وقد يدفع مثل هذا الأمر الأسر التي تعاني من الفقر المدقع للتخلي عن وليدها الجديد، كل ذلك إلى جانب انتشار العلاقات غير الشرعية، سواء بسبب الحاجة أو بسبب غياب الرادع، حيث تضطر الأم للتخلي عن الطفل ورميه، وأشار إلى أن أغلب هؤلاء الأطفال يتم احتضانهم من قبل بعض الأسر المقتدرة التي يوجد لديها رغبة في وجود فرد معها من خارج العائلة.

من الصعب اعتبار الأمر ظاهرة، إلا أن تكرار رمي الأطفال حديثي الولادة في ظل بقاء الظروف التي أنتجت ذلك، ثم غياب أي إحصاءات رسمية حول الأطفال المشابهين للحالات المعروفة، إذ يمكن افتراض وجود غيرهم، كل ذلك يدفع إلى الاعتقاد أننا سنواجه ظاهرة عما قريب.

طرح قانوناً جديداً سمّاه "مجهولي النسب" عام 2017، ونُقش في مجلس الشعب عام 2018 وإلى الآن لم يُقر، فأحكام اللقيط ينظمها المرسوم التشريعي رقم 107، ويُعامل اللقيط بموجبه معاملة اليتيم، فيتم تنظيم شهادة ولادة له بموجب ضبط شرطة وفق الأصول، وترسل نسخة عن شهادة الميلاد من دار الأيتام إلى السجل المدني، ويكتسب الجنسية العربية السورية، والدين الإسلامي في حال لم يُعرف دينه، ويُسجّل بالسجل المدني باسم ثلاثي مفترض، وهذا ينطبق على الحالة المذكورة في عفرين، وحتى لو كان توجد حالة إرضاع للقيط، إلا أن ذلك لا يُعتبر سبباً للنسب، وعلى من يدعى أن هذا اللقيط له أو يقربه أن يتقدم بدعوى إثبات النسب وفق قانون الأحوال الشخصية إلى المحكمة الشرعية لتثبيت النسب، ويُطبق على أحكام النسب المواد 134 و135 و136.

(ظاهرة) رمي أطفال حديثي الولادة انتشرت في الأونة الأخيرة أمام الأماكن العامة في مناطق الشمال السوري المحرر، وتكررت خلال الشهرين الماضيين، وكان لكل طفل عائلة ترعاه ريثما يتم كشف مصيره، فقبل وبعد الطفل عمر تم العثور على أكثر من طفل حديث الولادة، منهم في مدينة أعزاز بتاريخ 3 / 8 / 2018 تكفل به شخص من تل رفعت، وآخر بحالة صحية سيئة نتيجة تعرضه للبرد الشديد، حيث وُجد مرمياً على قارعة الطريق قرب مدينة سراقب شرقي إدلب بتاريخ 8 / 12 / 2018 ونقل لأحد مشايخ المدينة لتلقي العلاج، وفي 16 / 12 / 2017 عثر على طفل حديث الولادة في شارع الثلاثين بمدينة إدلب وتم تسليمه "للأمنية"؛ وقد

## في حماة.. حتى المحافظ لا يسلم من «تشيح» الميليشيات

■ محمد الأسمر

لم تكن الحادثة التي تعرّض لها محافظ حماة غسان حزوري في قمحانة الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة، إذ تكثر الحوادث التي يتعرض لها مسؤولو النظام أثناء محاولتهم تطبيق القانون على أصحاب النفوذ وحملة السلاح، فالقانون وضع ليطبق على الضعيف فقط في مدينة تحكم بفوهات البنادق.

التركية على مرأى الجميع من المعابر، بالإضافة لحوادث الخطف والسلب المسلح التي تحدث في ريف حماة الغربي بشكل خاص. الحزوري حاول بسط سلطته وتطبيق القرارات الحكومية لكنه فشل أيضاً في مدينة مصياف، حيث قوبل برودة فعل قوية مشابهة لما حدث في قمحانة، وتم منعه من تنفيذ القرار ومصادرة أي مادة، فما كان من المحافظ إلا أن عاد لمدينة حماة لتطبيق سطوته على التجار الصغار، حيث شن حملة مصادرة قوية ضمن أحياء المدينة، شملت الكثير من المواد مثل الأدوات الكهربائية وألبسة البالة وبعض المواد الغذائية ذات المنشأ التركي، حسب علا العمر الناشطة من مدينة حماة، والتي ترى أن الحكومة عاجزة عن تطبيق القانون على شبحتها، فتسعى لتطبيقه على المدنيين "مستودعات كاملة فضوها، ماقدروا أهل مصياف وقمحانة بس علينا بيقدروا".

من جانبه يرى الناشط عبد الحميد الشحنة أن النظام حقيقة قادر على ضبط وتنفيذ أي قرار في أي منطقة، لكنه يسعى للاستفادة من تصرفات هؤلاء المسلحين وتوظيفها لمصلحته عبر خطة ممنهجة تهدف إلى (عفرتة) المناطق التي ينتمون إليها، بجعل تلك المناطق عفريتاً، بحيث تتحول إلى فزاعة طبيعية لأهالي البلدات المحيطة عبر زرع فكرة "إذا الحكومة ما قدر تلهم، شو ممكن نعمل نحن"، تلك المنهجية ستضع المدني المستضعف أمام خيارين: إما الرضوخ بالمطلق لأوامر النظام وتنفيذها، أو الانضمام للميليشيات الموجودة ليحصل على السطوة الكافية لرفض القرارات المفروضة عليه، وبالتالي يربح نظام الأسد بكلتا الحالتين، بحسب الشحنة.

من ناحية أخرى يرى متابعون أن قوات الأسد صنعت ميليشيات وباتت عاجزة فعلاً عن ضبطها، بسبب النفوذ الذي باتت تمتلكه تلك الميليشيات من جهة، وبسبب معرفة تلك الميليشيات بأهميتها لدى بشار وحاجته لخدماتها في معارك عدة لم يحسم أمرها بعد، والدليل على ذلك أن مديرية الجمارك عجزت عن تطبيق قرارها إلا على التجار الصغار الذين لا يملكون دعماً من أحد ضباط الأمن أو قادة المجموعات العسكرية، على الرغم من مرور أكثر من ستة أشهر على بدء الحملة.

في الثامن من كانون الأول الجاري توجهت دورية جمارك من دمشق إلى حماة بهدف ضبط واحد من مستودعات البضائع المهربة في بلدة قمحانة شمال حماة، التي قرر محافظها مرافقة الدورية مع قوة أمنية لضمان إتمام العملية، ولمعرفة المحافظ أن هذا المستودع يعود بطريقة أو بأخرى لشخص من أصحاب النفوذ. لكن الأمور لم تجر كما يشتهي رأس هرم السلطة في المدينة، فقد تمت محاصرته من قبل مجموعة من عناصر المخابرات الجوية التي تتبع لسهيل الحسن، وتعتبر بلدة قمحانة من أهم معاقلها، واحتدم الموقف مما دفع المحافظ لطلب الدعم من رئيس اللجنة الأمنية في المحافظة محمد عبد العزيز ديب، الذي لام المحافظ على فعلته تلك وأخبره بأن "قمحانة لن ندخلها إلا بالورود"، كما يتردد في أوساط مؤيدة لنظام الأسد على وسائل التواصل.

سيل من الشتائم والتهديدات أطلقت في وجه المحافظ، "الذي يسعى لمحاربة الفساد" حسب وصف الصفحات الموالية للنظام، مما اضطره للانسحاب من المكان، خاصة بعد رد رئيس اللجنة الأمنية ورفضه إرسال المؤازرة للمحافظ الذي اكتفى بمصادرة عدة "علب بسكويت". وقد كتبت شبكة أخبار قمحانة في متابعتها للموضوع "المواد التي ذهب المحافظ إلى مصادرتها مصدرها الأساسي معروف للجميع وهو المعابر مع إدلب، فهل سنشاهد المحافظ قريباً هناك يمنع دخولها ويوقف من يدخلها". يبدو أن الحادثة ستكون واحدة ضمن سلسلة من الحوادث من ذات النوع، خاصة أن أجهزة ومؤسسات تابعة للنظام تحاول أن تعيد (الهيبة) لما تبقى من (الدولة)، حتى لو كان ذلك شكلياً، وضمن هذا الاتجاه يأتي تأكيد المدير العام للجمارك فواز أسعد، في وقت سابق، على أن المحلات التجارية في كل المحافظات السورية ستكون هدفاً للجمارك، وستدخلها في حال وجود مواد مهربة سواء كانت الكمية صغيرة أو كبيرة.

ليست الجمارك المعنية الوحيدة باستهداف المناطق التي تزدهر فيها تجارة المواد المهربة، فهذه الحادثة الثانية التي يتعرض لها المحافظ ذاته في نفس البلدة، والتي طالبت المحافظ بمحاربة الفساد الحقيقي المتمثل في كبار التجار الذين يدخلون المواد

# موالو النظام في الساحل يطالبونه برد الدين وتوفير الخدمات لهم مقابل تضحياتهم لأجله

ميسس الحاج ■ يعتبر موالو النظام

من الطائفة العلوية في الساحل أنفسهم أصحاب الفضل في بقاءه، لذلك فمن واجبه أن يكون وفيماً لموقفهم هذا، عدا عن تفضيلهم في كل ما يمكن أن يستحصله من (الدولة) لهم؛ يظهر ذلك في العديد من السلوكيات والظواهر والأحداث اليومية والشعارات.

فهم يعترضون على انقطاع الكهرباء في مدن الساحل لأنهم يعتبرون أنه من الطبيعي حرمان أي محافظة أخرى من الكهرباء بهدف بقاءها بشكل متواصل لديهم، "فمن المعيب أن تنام أسر القتلى والجرحى في الظلام، بينما تنعم بالكهرباء الأسر التي لم تقدم أي شيء، بل وجميع أبنائها انضموا إلى صفوف المعارضين للنظام في حلب أو دمشق". يتضح الأمر كذلك عند الحديث

عن المنتجات الزراعية التي تنتجها قرى الساحل من خضار وفواكه أو حمضيات، فبيعها بأسعار زهيدة والعجز عن تصريفها يعتبر أمراً مهيناً بحق أبناء ومزارعي هذه القرى، ويتوجب على "الجهات المسؤولة في الحكومة" أن تردّ الدين لهم من خلال هذه الأمور، فضلاً عن الدعم المستمر والدائم الذي يتوجب أن يتوفر لتعويض أسر القتلى والمصابين ومنح أبنائهم ميزات كبيرة وصلاحيات مطلقة، هذه الأمور تتفاقم وتظهر للعلن مع أي موقف أو مشكلة تواجه هذه الفئة من السكان، من نقص الخدمات أو ارتفاع الأسعار إلى صعوبة العيش وغياب فرص العمل.

تتحدث منى العبد (إحدى طالبات جامعة تشرين) لعين المدينة عن الظواهر التي تشاهدها في الجامعة من الموالين، ففي حال تم الإعلان عن أي وظيفة أو شاعر تتوافد النساء إليها وتعريفهن عن أنفسهن بأنهن "أخت القاتل فلان" أو "زوجة الضابط الذي قضى في معارك ريف اللاذقية فلان"، في ظل غياب كامل لأي مؤهلات علمية أو مواصفات من الممكن أن تتيح لهن الفرصة للعمل في المجال المطلوب.

تسحب تلك الحالة -بحسب العبد- على الطلاب الذين يعترضون بشكل دائم على المدرسين وعلى نتائج المواد والقرارات الصادرة، ويطالبون باتخاذ إجراءات تتيح لهم النجاح والانتقال من عام دراسي إلى الذي يليه حتى ولورسبوا في كافة المواد، معتبرين أنه يكفي ما حل بهم من حزن وما قدموه، فأغلب الشبان الموالين في الجامعة متطوعين في صفوف



يتحدث محمود عثمان (أحد سكان بلدة بانياس) لعين المدينة عن أنه لا توجد عائلة إلا وفقدت أحد أقاربها، والحرب لاتزال مستمرة والنظام بحاجة لتجنيد المزيد من أبناء الطائفة في صفوفه لذلك هو مجبر على السكوت عن كافة الاعتراضات والنقد الذي يوجهونه لحكومته، فضلاً عن أن تجنيد الشباب دفع لقلّة اليد العاملة ونقص الخدمات في كافة مجالات الحياة، والاعتراضات دائماً موجودة سواء فيما يتعلق بأمر النظافة أو الشوارع أو إعادة ترميم أو إصلاح أي منطقة.

أضاف محمود أن البعض من الموالين يعتبر وجود مشاكل وعدم توفر الخدمات في الساحل هو أمر مقصود، متسائلين "هل يجب علينا أن نقدم أكثر من ذلك لكي تؤمن لنا مطالبنا ولنعيش في وطن يوفر حقوقنا؟"، معتبراً أن النظام يعمل على تجديد ولأهم له بين الحين والآخر بعد حدوث أي موجة من الغضب والاعتراض على الوضع أو المطالبة بالحقوق، من خلال التفجيرات التي يحدثها أو نشر إشاعات عن وجود سيارات مفخخة تعمل دوريات الأمن على إيهام الأهالي بإلقاء القبض عليها.

يُذكر أن الصفحات الموالية للنظام تنشر الكثير من التعليقات والمشورات التي تتحدث عن موضوع ضرورة مكافأة أهالي المناطق الموالية ورد المعروف والجميل لهم، وضمن ذلك نشرت صفحة حمص عين على الحدث مؤخراً صوراً لبعض الأحياء في المدينة تظهر سوء الطرقات وانتشار الحفر بكتافة، وجاء التعليق عليها أن إعادة الإعمار يجب أن تبدأ من هذه الأحياء التي "هب شبانها وقرأؤها للدفاع عن وطنهم"، و"على كل جدار وعند كل شارع توجد صورة لشهيد تروي الكثير من قصص التضحيات".

الكتائب والمليشيات، فضلاً عن وجود فئة ممن أصيبوا يتابعون دراستهم أيضاً.

ومن غرائب القصص التي عاينتها في الجامعة تتحدث عن واحدة حصلت عندما توجهت إحدى الطالبات نحو عميد كلية الآداب في الجامعة، وصرخت مطالبة إياه بإعادة امتحان إحدى المواد لها لأنها لم تستطع تقديم الامتحان بسبب مقتل أخيها في اليوم ذاته، مما أجبرها على ترك الامتحان والبقاء لحضور التشييع والجنائز، معتبرة أن روح أخيها ذهبت فداء للوطن الذي يجب أن يقدر ظروفها ويساعدها على متابعة تحصيلها العلمي، وهذه الحادثة وجدت تعاطفاً كبيراً من قبل الطلاب والمدرسين الموالين الذين عمدوا إلى تهدئة الطالبة، مع عود ياتاحة الفرصة لها خلال الدورة الصيفية ومساعدتها للنجاح عندها.

هناك ثقة كبيرة عند الحديث وغياب للخوف من نظام أممي كنظام الأسد، حيث باتوا يفضلون أنفسهم عن الوزراء وكافة المسؤولين لدى النظام عدا بشار الأسد الذي يسعى لمحاربة فساد مسؤوليه وتحسين الوضع، فهم أكثر محبة ووفاء من كافة أركان النظام والمسؤولين لأنهم قدموا للأسد ما عجز عنه هؤلاء، ويطالبون مع أي نقد أن يرسل الوزراء أبناءهم للقتال على خطوط الجبهات، وكون أبنائهم في الخطوط الأولى فإن ذلك يمنحهم مساحةً للتعبير عن غضبهم وظروفهم الصعبة، خصوصاً عند احتدام المعارك ووصول القتلى والجرحى بشكل يومي إلى مدن الساحل.

## جثث مرمية على الطرقات وسيارات محروقة.. مظاهر الجريمة المنظمة اليومية في الساحل

■ مراد الحجري باقت صفة الانفلات الأمني مرتبطة بكل مناطق الساحل السوري، وسط أخبار لا تنقطع عن جرائم قتل وسرقة وخطف وسواها تتردد بين حين وآخر، في ظل عجز واضح من قبل المؤسسات الأمنية وجهاز الشرطة عن ضبط الوضع العام، أو الإشارة المباشرة إلى مرتكبي هذه الجرائم، الذين يعلم غالبية سكان مدن وقرى الساحل أسماءهم وارتباطاتهم وعلاقاتهم المتشعبة في دوائر اتخاذ القرار لدى النظام السوري.

بالقيام بها كونه "غير محمي بشكل كامل من قبل أية ميليشيا أو تجمع مسلح في المنطقة" وفق المحامي ذاته. عام 2017 شهد عشرات الجرائم المماثلة، فتوفي -مثلاً- الشاب أيمن سكيك من بلدة بيت ياشوط في المستشفى بعد تعرضه لضرب مبرح، وأشيح حينها أن مصدره عائلة فتاة كان قد رغب الشاب بالتقدم للزواج منها؛ وكذلك وجدت جثة الشاب نزار أبو العروس من قرية دمسرخو بعد تعرضه لإطلاق نار من قبل مجهولين؛ فيما تعرض الشاب رامز عديرة للطعن بأداة حادة في بلدة سقوبين بريف اللاذقية، لتسجل كل تلك القضايا ضد مجهولين.

لا يكاد يمر أسبوع في مدينة اللاذقية وريفها إلا ويرد فيه خبر اختطاف تاجر أو فتاة أو طفل، وطلب فدية من العائلة لإطلاق سراحه، فيما تمر جرائم سلب المحال التجارية والمنازل والمكاتب دون أن يتم ضبط العصابات القائمة بهذه الأعمال، بل إن تلك الجرائم تشهد انتشاراً جغرافياً لتشمل حتى القرى الصغيرة التي كانت في منأى عن الجريمة إلى حد ما، فيما تتطور أدوات الفاعلين، ويصبح حضورهم مباشراً ومعروفاً في القرى والمدن، دون أي شكل من أشكال الضبط الأمني، فالمسؤولون عن تلك الجرائم هم مجموعات وأفراد مسلحون تطوعوا في ميليشيات الدفاع الوطني وكتائب البعث وغيرها، وتمكنوا من امتلاك السلطة المطلقة في مناطقهم، وتقاسموا الشوارع والأحياء والقرى فيما بينهم، ليكون لكل شارع جماعة مسلحة مسؤولة عن أمنه وحمايته.

أول ما تقوم به هذه الجماعات هي ابتزاز الأهالي، ومن ثم ممارسة الجرائم بشكل واضح من قتل وسلب وخطف، أما قادة المؤسسات الأمنية، فمن كان منهم على ارتباط بتلك العصابات فقد ضمن حماية نفسه مقابل تغاضيه عما يقومون به، أو سيصبح ضحية كغيره لتلك الجرائم.

وجود جثة على قارعة طريق عام أو في مكب القمامة بات ظاهرة متكررة خاصة في مدينتي اللاذقية وجبلت، لتختتم القضايا بدفن تلك الجثث من قبل عائلاتها، وإجراء ضبط أمني يُودع في أدراج أقسام الشرطة هناك، مع تحقيقات توصف بأنها جارية لإلقاء القبض على الفاعلين. الفاعلون هنا قد يتجولون في مسرح الجريمة دون أي خوف من إلقاء القبض عليهم، فما تمتلكه العصابات القائمة بهذه الأعمال يفوق قدرة أي مؤسسة أمنية في الساحل على إلقاء القبض عليهم.

العقيد عمر أسود المعروف باسم "أصف أبو علي" وجد مقتولاً مطلع الشهر الحالي على طريق جبلت- بترياس، بعد اختفائه مع سيارته بأيام، ليتم دفنه في قريته بيت عانا التي ينتمي إليها كذلك العميد سهيل الحسن "النمر"، ولم يلعب انتماء العقيد المقتول لقرية وأسرته لتمتلك عشرات الضباط في مختلف قطع الجيش السوري ودوائره الأمنية أي دور في كشف الفاعل، الذي أشيع فيما بعد أنه ابن خالته وأنه فار من وجه العدالة.

من القرية نفسها وجدت جثة الصناعي وحيد عباس الذي قتل عن طريق الاستهداف بالرصاص، ورميت جثته أيضاً على قارعة الطريق دون أن تؤدي التحقيقات إلى اعتقال الفاعل، الذي يشير إليه المحامي منصور علي من ريف اللاذقية بأنه معروف، وتربطه علاقة بميليشيا الدفاع الوطني العاملة في ريف اللاذقية، وفق شهادته لمجلة عين المدينة.

سكان قرية عين الشرقية في ريف اللاذقية أيضاً وجدوا جثة الشاب علي أمون مرمية على طرف الطريق العام، وذلك بعد اختفاء الشاب مع سيارته قبل أسابيع، السيارة التي وجدت محترقة بالقرب من موقع الجريمة، وتختلف هذه عن سابقتها بأن يد الشرطة طالبت المجرم، وتم اعتقاله واعترافه



## البعث بكل ألوانه الداكنة ورطوبته.. خالد في الساحل

غدير سليمان

حين تغيب أدبيات البعث وألوانه الداكنة وشعاراته وتفصيله عن مختلف الجغرافيا السورية، وتنشغل مختلف المكونات بالحدث السياسي والعسكري وتفصيله، و بجنازير دبابات كبرى جيوش الكوكب وميليشياته التي تعرك مختلف أشكال الحياة في سوريا.. يبقى هناك مكان وادع واحد ينعش برطوبته دفاتر البعث القديمة، ويحيي في نفوس حاملها روح الشبيبة والطلائع، روح لا يمكن للتكنولوجيا مهما تطورت أن تحرمها قدرتها على استحضار حافظ الأسد حياً في أي اجتماع لفرع أو رابطة.. إنه الساحل السوري، حيث مصطلحات البعث ومكوناته يمكن أن تنتعش في كل قرية ومدرسة وصف وقاعة ومناظرة وفرقة وشعبة.

ربما سيكون مكتوباً على الصورة "السيد الرئيس حافظ الأسد"، على اعتبار أن أمراً باستبدالها بعد عام 2000 لم يصدر حتى الآن.. نوافذ معدنية قديمة، دفاتر صفراء كبيرة متراكمة فوق خزائن رمادية قديمة، لا بد أنها دفاتر تسجيل اشتراكات؛ كلما سقطت من فوق الخزائن زاد عدد الأوراق التالفة فيها، والتي يعيد حشرها في الدفتر من تسبب بسقوطها حين فتح الباب بقوة فصدت الخزائن التي تظهر آثار صدمات قديمة فيها.. أعلام قد حشرت بين الخزائن تلك وبين الحائط، وأخرى ورقية ملصقة على باب الخزائن المستعصي على الإقفال منذ خمسة وثلاثين عاماً؛ ألوان الأعلام غير واضحة أبداً، إلا في عيون من يعيش في هذه القاعة منذ عقود.

المكونات التي تحولت لدى جيل كامل إلى ذاكرة بات السوري يستعيدها للسخرية منها، أو لیسوق الدلائل على مدى عفونة الحياة التي كان يعيشها مرغماً عشرات السنوات؛ الصور والأعلام والشعارات وشكل القاعات والموسيقا والأغاني والمصطلحات.. كلها ذكريات يستعيدها السوريون في الخارج اليوم ليحكوا -لن لا يعرف سوريا- ما معنى أن تقضي طفولتك ومراهقتك وربما شبابتك في ظل نظام شمولي.. لكن في الساحل السوري كل تلك التفاصيل لم تتحول بعد إلى الذاكرة، بل هي في صلب الحياة حتى اليوم.. وبشكل مختلف عن باقي المناطق السورية حتى الخاضعة منها لسيطرة النظام.

هنا البعث في صوت كل نشيد صباحي في باحات المدرسة، وفي جوه أولئك الموظفين الذين لا أحد يعلم بالضبط ماذا يعملون؛ هم فقط مفرغون للحزب أو الشبيبة أو الرابطة أو الاتحاد.. تم تضيغهم لملء تلك القاعات الداكنة بهم، واستخدامهم كمضاد صدأ لأدبيات وطاولات الحزب الذي لا يموت.. لا يموت حتى لو سقط في دمشق.

الزملاء التالية أسماؤهم "هيثم سليمان، محمد عيسى، بشرى جمول، عماد سليمان، ايضلين فرحاً" حازوا على المركز الأول في المناظرة المركزية، ممثلين عن اتحاد فلاحي طرطوس الذي تقدم على نظيره الحموي والدرعاوي، وذلك وفق ما نشرت الرابطة الفلاحية في القدموس بريف طرطوس. المناظرة الفلاحية تلك، توازيها مناظرات في مختلف الروابط الأخرى التابعة للقطاعات، ولفروع الحزب، فلا يخلو أسبوع في تلك القاعات نفسها التي كانت تشهد تلك المناظرات مطلع التسعينات، من حشد غفير يردد الشعار في قاعة رمادية اللون، ومن ثم يخوض المناظرة التي ينظمها أمناء وأعضاء ذلك الفرع أو الفرقة أو الرابطة أو الشعبة، مستخلصين الأسئلة من الكتيبات الحزبية التي تم توزيعها على المشاركين في المناظرة قبل أسابيع أو خلال المناظرة السابقة..

سيكون هنالك سؤال حول دور الفلاح الريادي في صناعة التشريين، تشريين التحرير وتشريين التصحيح، وربما ستخضع الأسئلة لما يشبه إعادة صياغة معاصرة، بحيث يواكب السؤال الراهن، فيكون حول دور الفلاح الريادي في إحباط المؤامرة الإمبريالية على سوريا.. وقد يتم استبدال كلمة إمبريالية على اعتبار أنها استهلكت على مدار عشرات السنوات في القاعات والمناظرات ذاتها، لتستبدل بالصهيوا أمريكية، أو الوهابية، أو الكونية، وذلك وفق مزاج لجنة الصياغة التي اجتمعت قبل ساعات لوضع الأسئلة في غرفة أمين الفرقة، حول مدفأة قديمة يمكنهم التحكم بقوة اندفاق المازوت فيها، تحت صورة قديمة للقائد الخالد.

## يوماً ما في داريا..

حكاية مكتبة داريا التي خبأت خلفها حركة سياسية لم ينتبه لها العالم

الصورة من صفحة الإنسان في سوريا

■ محمد كساح قال لي "همام أبو مجاهد"، المقاتل الذي كان يجلس إلى جانبي أمام إحدى الطلاقيات الدفاعية: "أريدك في أمر هام"، وعلى الفور بدأ بعرض الفكرة: "نريد إحياء (مشروع التغيير) وأحب أن تكون معنا".

التجمع إدارة وأفراداً: "علينا إدخال قياديين محبوبين في داريا لرفد الجانب التعبوي في التجمع"، لا أدري من اقترح هذه الفكرة أولاً، لكن كنا متفقين عليها. كان من بين من انضموا إلينا "أبو وائل حبيب" الذي يقود أهم كتيبة في داريا "شهداء داريا"، إضافة إلى "أبو الفدا مدور" الذراع اليمنى لأبو وائل في الكتيبة.

الاجتماعات الأولى كانت مليئةً بالنقاشات حول التجمع، وكيف سيتم تطويره، وما المراد منه؛ البعض كان يتحدث عن "تطوير ذواتنا إيمانياً وعلمياً"، بينما يطرح آخرون أسماءً شبابيةً لتنسيبها إلى المشروع، لكن الموضوع المحبب للجميع كان هو التحدث عن المشروع المناهض، أقصد تجمع "سرحيا كراما" الذي أسسه بشار الفرخ مع عبد المجيد أبو أحمد ومجموعة من طلاب جامع المصطفى الموالين للأول. ما هي خططنا لمواجهة مشروع سرحيا كراما؟ كنا نفتتح الاجتماعات بهذا السؤال، وربما نختمها أيضاً بأسلوب طفولي ينم عن غياب الحنكة والبراعة في تأسيس التجمعات السياسية، فقد كنا نواجه المشروع المضاد ونحن لانزال سبعة أفراد (القيادة) فقط، إذ لم نشرع بعد في إجراءات التنسيب وهيكلت جسم التجمع. كان الفرخ يوغر ضدنا الطلاب لضمهم لتجمعه الجديد، وعبارته المفضلة دائماً "تمكنت من عرض المشروع على الداعمين، واستلمت مليون ليرة كدفعة أولى"، أما نحن فلم نكن ميالين لجلب الدعم، وبقي المشروع هكذا حتى العام الرابع للثورة. المرحلة التالية كانت مرحلة التنسيب. كنتُ أدور وهمام على الطلاب لإقناعهم، كان أغلبهم قد انضموا للمشروع قبل المعركة، لكنهم تفرقوا مع توقف المشروع في ظلها. أكبر عائق اصطدمنا به هو طلب الإدارة إجراء الموافقة أو الرفض لكل من نرغب بضمه للمشروع، أصر أبو وائل وأبو الفدا على هذه النقطة، وكان علينا أن ندفع ثمن طمعنا في كسب الشعبية -وربما القوة- من ضمنا لهما.

في إحدى التجمعات أمسك همام بورقة كبيرة وشرع بقراءة الأسماء الجديدة، وعندما وصل إلى أحد الأسماء تكهرب الجو بشكل مفاجئ، كان الاسم الجديد لقائد إحدى الكتائب التي

وبعد عدة جلسات نقاش وأخذ ورد، وافقت على الدخول ضمن أول تجمع سياسي ثقلي في داريا عقب الثورة، عملت فيه لعدة أشهر، وكنت أحد المشاركين في التأسيس الجديد الذي أتحدث عنه اليوم؛ دار الحديث منتصف الشتاء، حينها كانت تسود حالة من الاستقرار في داريا، بعد معارك حامية بدأت منذ تشرين الثاني 2012. أتذكر لحظات استماعي لحديث همام معانقاً بندقيتي في مواجهة الخطوط العسكرية للنظام، بينما تلتهب مدفأة المازوت مضيئة جواً من الدفء على برد كانون الثاني. تأتي الحركات والتجمعات السياسية في داريا، سواء تلك التي تأسست قبل الثورة "جماعة عبد الأكرم السقا"، أو التي انبثقت مع اندلاع الثورة "مشروع التغيير، تجمع سرحيا كراما"؛ تأتي جميعها ضمن الإطار المحافظ الذي تتسم به المدينة، فقد انطلقت معظم الأعمال الثورية -ومنها هذه التجمعات- من حلقات المساجد التي كان الطلاب يدرسون فيها -إضافة للقرآن- شيئاً من العلوم الشرعية واللغة العربية، وانعكست الألفة التي انعقدت بين طلاب كل مسجد على تجمعات الثورة التي أنت فيما بعد.. لذلك كان أول ما سعى "مشروع التغيير" لنشره عندما انطلق في السنة الأولى للثورة، هو ضم هؤلاء الطلاب لصفوفه سعياً لإحداث تغييرات فردية وجماعية سياسياً وثقافياً بين مجموعاتهم.

تمكن مشروع التغيير من النجاح في هذه الخطوة، كما استطاع خلال العام الثاني للثورة، عقب تحرير داريا على يد الجيش الحر، عقد ملتقيات (جماهيرية) في عدد من مساجد المدينة، مثل جامع المنبر والمصطفى وأنس بن مالك، شارك فيها بعض المشايخ والمتقنين. أوقفت حملة داريا نهاية العام الثاني جميع هذه النشاطات، وأدت لؤاد هذا التجمع تماماً.

خلال التأسيس الثاني الذي كنت مشاركاً فيه، اختار همام عدداً من الأشخاص بينهم قياديون في الجيش الحر لتشكيل الإدارة، التي تألفت من سبعة أعضاء؛ شارك في هذا الاختيار، بل كنت وهمام نجلس مطولاً للحديث حول ما ينبغي فعله لتوسيع



توقفت عن العمل وجرت بينه وبين البعض مشاحنات وصلت إلى حد الاعتقال؛ "فلان لا" قال أبو وائل بغضب واضح، فقد علت وجنتيه الحمرة بسبب محاولتنا تنسيب الشاب، الذي تأخر ضمه للمشروع سنة أو سنتين.

قمنا بوضع الطلاب داخل أسر، وكانت كل أسرة مؤلفة من خمسة أفراد أحدهم "النقيب" أو المسؤول عن الأسرة؛ في الحقيقة اقترحنا هذه الطريقة في بناء الهيكلية العامة اقتباساً من البنية التنظيمية للإخوان المسلمين، وكنت متأثراً بتجربتهم. اختيار نقيب كل أسرة كان يتم من قبلنا. كان همام يشكو دائماً من توجيه اتهامات تتعلق بالاستبداد والتفرد بالرأي من قبل زملائه، وربما شكلت مثل هذه الإجراءات أحد أسباب نعته بمثل هذه الصفات.

خلال أحد اجتماعاتنا الدورية التي كانت تعقد أسبوعياً في المكان الذي كنت مسؤولاً عنه على الجبهة، أو في منزل ماهر خولاني الذي كان عضواً في الإدارة، قررنا أنه قد حان الأوان لعقد "الملتقى الأول" لأعضاء المشروع؛ كلفت بالتجهيز لهذا الملتقى الذي سيقام في جامع المصطفى؛ كان أول وآخر عمل علني في "مشروع التغيير" أقوم به. ذهب قبل أيام لتفقد المكان، وضعت منبر المسجد في الأمام مع التجهيزات الكاملة للإذاعة، كما قمت مع مجموعة من الشباب بصف المقاعد، واتفقنا على الضيافة من القهوة المرة والشمش، وشرعت في كتابة الكلمة الافتتاحية للملتقى، فقد كنت عريف الحفل.

في الوقت المحدد لانعقاد الملتقى توافد الحضور.. ينتابني الضحك على سذاجتنا حين أتذكر أول خطوة قمت بها؛ فقد اتفقت مع شخصين أو ثلاثة على مجموعة من الأسئلة ليطرحوها على المحاضرين بغية "تحريك الجو". بدأت الملتقى بمطلع القصيدة الشهيرة للشاعر القروي "خير المطالع تسليم على الشهدا أزكى السلام على أرواحهم أبدا" كنت متأثراً جداً خلال الإلقاء، فقد التقطت الكاميرا عبوسي الواضح في تلك اللحظات.



تحوّلت بعد إخلاء داريا نحو الشمال السوري إلى أكاديمية، يشارك في محاضراتها السياسية والثقافية والاجتماعية العديد من الأكاديميين والنخب، وتأسس لها فرع آخر في إسطنبول عقب نجاح الفرع الأول في إدلب. لعل أهم ما قام به الطلاب المنضمون لحركة "فجر الإسلام" هو تلك المكتبة الواسعة المليئة بمئات المجلدات، والتي أخذت حيزاً كبيراً في الإعلام. قام الطلاب بجمع المكتبات الشخصية التي عثروا عليها في المنازل المهجورة، ونظفوا قبواً كبيراً نوعاً ما وملؤوه بالرغوف، نظفوا الكتب التي علاها الغبار والهباب ورتبوها بشكل جميل وجذاب، وفي وسط المكان الطاولات الكبيرة والمقاعد الوثيرة، فكانت بمثابة قاعة للمطالعة والاجتماعات الدورية لحلقات الحركة. في تلك القاعة التقيت همام خلال العام الرابع للثورة، وكان الملازم "أبو شاهين" قد أسس "لواء الأحرار" الذي قمت بدعمه إعلامياً بنشر لقاء مطول معه يدافع فيه عن نفسه، عاتبني همام على موقفي فأجبت بأن الرجل رحب بإجراء اللقاء الذي كان أساساً لتقرير موسع تنشره جريدتنا (البلد) حول هذه القضية، لكن جميع القادة في الطرف الآخر رفضوا إجراء الحوار؛ لا أعتقد أنني نجحت في تبرير موقفي أمامه، فحركة "فجر" وقفت فقط إلى جانب المجلس المحلي حينها.

لم يصمد "مشروع سنحيا كراما" طويلاً، فقد انهار بعد عدة أشهر وانضم أغلب أعضائه لمشروع التغيير/ حركة فجر الإسلام، رغم أن النجاح كان سيكتب له لولا العداء الكبير الذي يكنه أغلب قيادات داريا لبشار الفرخ وخوفهم من ازدياد قوته.

كنا مقتنعين جداً بما نفعنا. أثناء التجهيز للملتقى، وأمام البوابة الكبيرة لمسجد المصطفى، قلت لأخي التوأم الذي التقيت به مصادفة في المكان "نحن نصنع حركة إسلامية"، كانت علامات الدهشة واضحة على معامه وهو يستمع إلى أخيه الشاب، الذي يتحدث عن نهضة ومشروع لتغيير المجتمع السوري انطلاقاً من داريا؛ بل ربما كبرت طموحاتنا أكثر... في إحدى جلسات المناقشة أخذنا الحماس لنعلن -أنا وهمام- أن علينا أن نناضل في مواجهة العالم الذي تسيطر عليه أمريكا. نجح الملتقى نجاحاً كبيراً، ونجحت خطتي في "تحريك الجو"، بعد أن ألقى همام "رئيس الحركة" كلمة حماسية تلتها محاضرة لماهر خولاني.

بعد الملتقى بأسابيع قررت التوقف عن المشاركة في "مشروع التغيير". اجتمعت بهمام وطرحت عليه التساؤل الملح الذي كان ينتابني دائماً "ها قد أسسنا تجمعاً بقيادة وهيكلية واضحة وملتقيات.. والآن ما هي الفكرة التي يجب العمل لنشرها وتطبيقها؟ ما هي القضية التي علينا الكفاح من أجلها؟" لم أحصل على أجوبة شافية فأعلنت تركي المشروع. لا أنسى وجه همام وهو يصغي إلى قراري المفاجئ هذا، ربما كان يعدني بمثابة رقيق نضاله، ولكني خيبت آماله، ولا أزال حتى اللحظة أشعر بالندم على تلك الطريقة التي فاجأته بها.. كان علي ترك المشروع بلبقافة أكبر.

تطور مشروع التغيير مع قدوم العام الرابع للثورة وحتى اليوم. أنشأت حركة "فجر الإسلام" التي تعتبر الجسم الجديد لمشروع التغيير، مدرسة فجر التي

## الانسحاب الأمريكي... فرصة للنظام أم عودة إلى «الاتفاق النووي»؟

Associated Press

جاء قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بسحب كل القوات الأميركية المنتشرة في سوريا، والعملية ضمن إطار عملية "العزم الصلب" التي يشنها تحالف محاربة تنظيم "داعش" بقيادة الولايات المتحدة، ليخلط أوراق المنطقة برمتها محدثاً ما يشبه الصدمة التي أربكت أجهزة الدولة الأميركية ذاتها، والحلفاء في أوروبا والشرق الأوسط بل والخصوم أيضاً.

ومع أن الاتجاه الجيوستراتيجي الذي يقترحه ترامب كنتيجة لهذا الانسحاب يصب في النهاية لصالح قيام تركيا، الجار الأقوى لسوريا والحليف الرئيسي داخل "الناطو"، بإنجاز مهمة القضاء على جيب "داعش" الأخير في شرق سوريا، إلا أنه لا يجب عن العديد من الأسئلة التي يثيرها الفراغ الأمريكي في هذه المنطقة المضطربة.



■ سهيل نظام الدين

قد يمثل خطراً كامناً خصوصاً بالنظر لسوابق التعاون بين الطرفين ضد الثورة السورية، وربما يعيد الأسد -أو بتعبير أدق يرفع من مستوى- الاستثمار في "داعش" إذا شعر أن الانسحاب الأمريكي سيهدد فرص سيطرته على "شرق الضرات". والنظام يستند هنا إلى ما يبدو تكراراً متعمداً في الخطاب الروسي لمطابقة خطاب الأسد نفسه تجاه الثورة السورية وتطورات المناطق الخارجة عن سيطرته. وبالرغم من أن الروس لديهم حساباتهم الخاصة مع تركيا، فإن الأسد مازال خيارهم الوحيد في سوريا تكتيكياً واستراتيجياً، الذي يملك بدوره حليفاً آخر متمثلاً بالإيرانيين الذين يعجز الروس عن إخراجهم من سوريا.

هناك دائماً "شرط إيراني" في تفسير الحال السورية منذ 2011، حتى أن قرار الانسحاب الأمريكي نفسه يبدو استكمالاً لمنطق تقويض الاتفاق النووي مع إيران، ولتخلي ترامب المنهجي عن إرث أوباما. وفي هذا الخصوص تحديداً يبدو أن قواعد الاستقرار المحلية التي أرساها أوباما عبر تهيئة كل الطرف السوري -ومنها التدخل العسكري الروسي نفسه- ليكون استجابة لحاجته في إقناع إيران بالاتفاق تتعرض للتهديم، فترامب يعيد الاعتماد كلياً على تركيا التي تجاهل أوباما مصالحها كحليف رئيسي عند تكوين "قسد"، وهو كذلك يشير إلى تمويل سعودي مازال غير محدد الملامح لإعادة الإعمار، وهذه عودة بصورة ما إلى خطاب 2013.

ليس صعباً الاستنتاج أن هذا لن يعجب إيران والأسد معها، وهو ما سيدفع إلى إعادة تذخير الجناح الموالي لنظام الأسد في حزب العمال الكردستاني لدفع القوات الكردية السورية نحو تسليم مناطقها للنظام انتقاماً من تركيا.

المؤشرات ليست غامضة هنا... "قسد" تلوح مثلاً بالإفراج عن آلاف السجناء "الدواعش"، وهي رسالة ابتزاز واضحة لكنها في اتجاه فعلها لا تخدم غير الأسد.

صحيح أن تركيا قادرة عسكرياً وسياسياً على إنجاز المهمة منفردة، غير أن تفسير ترامب يحيل إلى سؤال آخر يتعلق بالمدى المفترض للعمليات العسكرية التركية داخل العمق السوري؛ فـ"جيب داعش" المقصود يقع في أقصى شرق محافظة ديرالزور، والوصول إليه يعني أن كل المنطقة الواقعة تحت سيطرة (قوات سوريا الديمقراطية "قسد") التي تشكل (وحدات حماية الشعب) الكردية كتلتها الرئيسية- يجب أن تخرج عن سيطرة هذه القوات التي لا تخفي انتماءها إلى فكر حزب (العمال الكردستاني)، وإن كانت تصر على عدم وجود علاقة عملانية مع التنظيم المصنف إرهابياً في تركيا وأمريكا.

سيقود هذا إلى تساؤل حول مآل هذه الجغرافيا؛ التي يمثل نهر الفرات فيها حدود فصل مؤقتة بين مناطق سيطرة "قسد" المرعية والمدعومة أمريكياً، ومناطق سيطرة نظام بشار الأسد، الذي بات الآن مجرد واجهة سياسية لحلف يضم روسيا وإيران وطائفة من الميليشيات الإرهابية العراقية واللبنانية والأفغانية التي فرّخها أو يدعمها الحرس الثوري الإيراني. والواقع أن التخوف الأساس لدى سكان المنطقة المسماة حالياً بـ"شرق الضرات" يتعلق بعودة سيطرة قوات نظام الأسد عليها في حال انهيار "قسد" بعد الانسحاب الأمريكي، وسيحمل هذا الاحتمال وضع السكان تحت رحمة عمليات انتقامية واسعة -بل وربما مذابح صامتة- من قبل الميليشيات الموالية للأسد، إضافة إلى تمدد سيطرة إيران وحصولها على جسر إضافي لنشر التشيع؛ وهي بكل حال عملية تجري الآن بكثافة داخل مناطق سيطرة النظام في ديرالزور "غرب الضرات".

ثمة عامل أو محدد آخر، وهو أن جيياً "داعشياً" نشطاً مازال يتواجد داخل مناطق سيطرة النظام في بادية الشام، وهو ما



## ماذا ننتظر؟ توقعات لعام يأتي ثقيلًا

■ **ثائر الزعزوع**

تلتقط الكاميرات باحترافية شديدة، وأحياناً بعشوائية، صوراً من مخيمات في الشمال السوري تحرق السيول خيامها المهترئة: يبدو الأطفال خائضين فيما تقف في زاوية الشادر امرأة لا حول لها ولا قوة ترفع يديها إلى السماء داعية (يا الله يا الله..).

السوريون على مدى سنوات سبع ماضيات مهد الثورة، والتي سوف يتم تسليمها دون أن تطلق فيها طلقة واحدة، ففصائلها باعها كما سيدون ذلك مؤرخون مجتهدون، وتنازلت عن ثورتها مقابل مبالغ مالية تلقاها قادة سوف يظهرون تباعاً وهم يركبون سيارات فاخرة، ويعلنون افتتاح مشاريع استثمارية لن يسألهم أحد من أين لكم هذا؟ فالجميع يعرف... لكن تلك المظاهرة، سيضاف إليها جنوباً أيضاً كتابات ظهرت على بعض الجدران في مدينة السويداء، تلك المدينة التي ظلت بعيدة عن كل ما جرى تقريباً، كتابات تذكر بسيرة الثورة الأولى، ألا يدفعنا هذا للتفاوض ولو قليلاً؟

لم لا؟  
فلنفكر، بإيجابية قليلاً، هل تموت الثورات؟ الإجابة التي تقدمها لنا كتب التاريخ تقول: إنه لم يحدث أن ماتت ثورة أبداً، فالثورات يخفت بريقها سنوات، ربما، لكنها تعود للاندلاع من جديد، يشبهونها بنار تحت رماد... في الشهر السادس من عام 2012 رصدت الكاميرا صورة لامرأة من مدينة نخلة ترفع صوتها عالياً وهي تقول: أنت مجنون يا بشار، هل سمعت عن ثورة عادت إلى الورا، هذه ثورتنا وسنمضي بها طال الزمن أم قصر... لا ندري إن كانت تلك المرأة ما زالت حية أم أنها غادرت الحياة تحت أنقاض منزل ما... لكن كلماتها تلك لا بد أن تظل ملازمة لنا...  
ماذا ننتظر حقاً؟

حل سياسي يتم طبخه على نار هادئة ليعود رأس النظام سيداً مطلقاً تباركه معارضة مصطنعة، وتعود سوريا مزعومة مغلقة تحكمها العصابة نفسها التي حكمتها نصف قرن من الزمن، وهي تعد العدة ليستمر حكمها عقوداً أخرى...! يبدو الفتى المثير للسخرية حافظ الثاني مستعداً تماماً ليضع على رأسه التاج الذي وضعه من قبله أبوه وجده، وتبدو الدول التي كانت تدعي صداقة الشعب السوري مستعدة للقبول بصفقة بقاء عائلة الأسد حاكمة إلى الأبد، لكن هل يبدو الشعب السوري مستعداً من هنا ينبغي التأسيس لثورة لا تقع في تلك الأخطاء التي وقعت فيها الثورة الأولى، ولكن هل ثمة ثورة ثانية؟ يتساءل سوري يبدو حتى اللحظة غير قادر على استيعاب فكرة الخيبة، ولم لا؟ الثورة فعل لا يتوقف، هكذا تقول كتب التاريخ، وهذا ما علينا أن نتعلمه.

عام 2019 سيأتي محملاً بخيانتنا، ولكن لماذا لا تتحول تلك الخيانت إلى ردة فعل، نعيد فيها تنظيم ثورتنا بعيداً عن الممولين والبائعين والمتاجرين بنا؟

Aleksandr Gerasimov

تتحرك الكاميرا بسرعة، هنالك إلى العاصمة دمشق، حيث يعود ليرتفع على سارية علم دولة الإمارات العربية المتحدة، بعد أن أعلنت أبو ظبي أنها ستعيد فتح سفارتها التي ظلت مغلقة مدة تجاوزت السنوات الست. يُنتظر أن تعيد دول أخرى فتح سفاراتها، قالت البحرين إنها ستفعل، وسوف ننتظر أن تحذو دول أخرى حذوها، فيما ترصد الكاميرات طائرة تابعة لشركة أجنحة الشام التي تعود ملكيتها لأحد أباطرة الفساد في سوريا (رامي مخلوف)، تهبط بعشرات المسافرين في العاصمة تونس، فيما يبدو أنه استئناف لعلاقات ظلت مقطوعة سنوات.

تتجه الكاميرات شرقاً إلى دير الزور حيث عاد صنم ديكتاتور سوريا السابق ليرتفع من جديد، كانت الكاميرات في أوقات متباعدة قد رصدت عودة الأصنام في حمص وحماة؛ يقال إن تكلفة الصنم الواحد بلغت خمسين مليون ليرة سورية! ليس مهماً ما تبلغه التكلفة، المهم أن تعود الأصنام ويعود العبيد لينحنوا أمامها في مرورهم اليومي في مدنهم المهذمة... تلتقط كاميرا شاشة موبايل تغريدة لأحد قادة المعارضة وهو يعلن أن عودة السفارات إلى دمشق يمهد لحل سياسي، فيما أيضاً تنتقل الكاميرات مسرعة لترصد حراكاً دبلوماسياً تشرف عليه قوة الاحتلال الروسية، يفتح الطريق أمام ما سوف يعرف بالحل السياسي.

لا تتوقف الكاميرات عن الحركة وهي تلتقط صورة لأوراق تتبعثر في الشمال الشرقي، بعد تغريدة من خمس عشرة كلمة للرئيس الأميركي دونالد ترامب يعلن فيها أن قوات بلاده ستغادر سوريا قريباً، وتلك الأقربياً تفتح الأبواب على احتمالات جديدة، ليس بينها احتمال واحد يقف مع الناس، أي ناس؟ أي ناس؟ ومن يفكر فيهم أصلاً في طبخة البحص السورية لا أحد يفكر إلا فيما سوف تسفر عنه القسمة: من سوف يستقر شمالاً أو جنوباً؟ من سوف يظل في أرضه شرقاً؟ من سوف يكون محكوماً عليه بنزوح وتشرد جديد؟

تلك أسئلة تمهد لعام يبدأ ثقيلًا، ولماذا نقول ثقيلًا؟ أليس علينا أن نتفاهل بالخير كي نجده؟ التقتت الكاميرات، خلست هذه المرة، مظاهرة في مكان قصي من الجنوب، هناك في درعا التي عاد النظام لبيسط سطوته عليها، درعا التي سوف يسميها





ديانا دارك

عن موقع The Middle East Eye  
14 كانون الأول / ترجمة مأمون حليبي

## نهب مدينة حلب: «إننا نعيش في القرون الوسطى»

بينما يخيم النهب والتشبيح على المشهد في البلاد، والذي تركت الحرب بصماتها عليه، يجد أولئك المهتمون بالحفاظ على الصروح المعمارية التاريخية أنفسهم عاجزين عن التدخل.

كل فرقاء النزاع يتحملون مسؤولية دمار المدينة التجارية الرئيسية في سوريا، ومكانة حلب كموقع من التراث العالمي، حسب اليونسكو، لم يمنحها الحماية عندما وصلت إليها الحرب عام 2012. "فرص الفساد ازدادت أضعافاً"

أعمال الترميم الرسمية الوحيدة الجارية حالياً هي من نصيب الجامع الكبير، وهو أكبر مشروع يموله الرئيس الشيشاني، أحد أصدقاء بوتين. أما كنائس وكاتدرائيات المدينة فقد رُممت بنسبة كبيرة، بفضل القساوسة والبطاركة المقربين من النظام، ووصلت أموال من متبرعين مسيحيين أثرياء إلى سوريا بطريقة ما، رغم العقوبات المالية.

بعض أصحاب البيوت استخدموا عمالاً محليين لإصلاح منازلهم المتضررة بعد سقوط المدينة أواخر عام 2016، لكن لاحقاً بدأت بنى الدولة تفرض نفسها. يقول أحد سكان حلب: "الأمر الآن أسوأ مما كان عليه قبل الحرب. قبل الحرب كانت توجد سلطة واحدة كان عليك الحصول على إذن منها، حالياً هناك 5 سلطات، وكل يريد حصته. فرص الفساد ازدادت أضعافاً".

قاطنو حلب العاديون فعلوا ما بوسعهم بعد سقوط المدينة. شوارع حي الجديدة، وكانت خط مواجهة أثناء النزاع، كانت ممتلئة بالأقاض من مخلفات القصف الجوي وتفجيرات الأنفاق، ثم قام المتطوعون بتنظيف الشوارع بكد، وهي عملية سرعان ما نالت الحكومة الثناء عليها. ففي 28 أيلول، وصل الأمر بالحكومة إلى حد تنظيم يوم سياحي عالمي في ساحة الحطب، صورته قناة الميادين المناصرة للنظام وقناة روسية رسمية، ليرى العالم كيف كانت حلب تعود إلى حياتها الطبيعية بعد إعادة سيطرة النظام عليها.

لكن نهب مدينة يبلغ عدد سكانها أكثر من 3 ملايين يستغرق وقتاً طويلاً، وطالما هناك أموال يمكن الفوز بها من النهب، سيستمر ذلك. وفي جو كهذا، لا توجد حالياً إمكانيات لإصلاح مئات من صروح حلب المعمارية، فيقف السكان المحليون متفرجين بينما مساجد أحيائهم، التي كانت من قبل مراكز مجتمعاتهم، تتداعى ببطء، ولا تريد الحكومة أن تعيد الجماعات بناء ذاتها، على العكس في تريد للمجتمع أن يبقى مذرراً، إذ يسهل أكثر ضبط هكذا مجتمع.

في وقت سابق في هذا الشهر ظهرت تقارير على شبكة الإنترنت تتحدث عن طنين من التحف المسروقة التي اكتشفت في منزل النمر في دمشق. أهذه هي الطريقة التي تعود بها سوريا أحلى؟

لنقارن ونلاحظ الفرق بين هذين المشهدين: في برلين يقوم فريق من المهندسين المعماريين السوريين الأكفاء، بدعم من متحف الفن الإسلامي، ببناء أرشيف رقمي للصرح التاريخية في حلب، من أجل المساعدة بعملية ترميمها مستقبلاً. في حلب عصابة من الشبيحة شبه الأميين يرعاها النمر - العميد سهيل الحسن، أمير حرب مدلل لدى بوتين - تنال الثناء لترميمها البائس لنفس المساجد القديمة التي ساهمت في تدميرها.

في حين تذكر تقديرات أن ثلث مساكن البلاد قد دُمرت أثناء 7 سنوات من الحرب، فهناك حربٌ جديدة بين جيوش من خبراء في ترميم الصروح التاريخية خارج البلاد يتملكهم الإحباط، وحيوش من السراق يعملون بحصانة على الأرض. في حلب، ثمة بوستر جديد معلق على مبانٍ في مناطق "محررة" عادت إلى سلطة النظام، مكتوبٌ عليه بلغة عربية غير صحيحة قواعدياً "سوا بترجع أحلى". عبارة ملتبسة بشكل معبرٍ بخصوص من تحديداً سيعيد سوريا أحلى: خليط بلا ذمة من العصابات والشبيحة الذين يسمون أنفسهم "رجال النمر" يزعمون حالياً أن هذا الدور منوط بهم.

غض الطرف

مسجد الأكلح في حي الجديدة أحدث كأس من كؤوس تفوقهم، ويعود تاريخه إلى سنة 1485، يظهر عليه اليوم تحويلة إسمنتية خضراء تفتقر للذوق. ويمتدح فيديو على اليوتيوب إنجازهم هذا، مسمىاً إياهم "الأيادي البيضاء". أيضاً أعادوا بناء مدرسة الفضيلة المجاورة، وشيدوا لوحة حجرية ليتيقنوا أن من سيخلفهم سيعرف أنهم أنفسهم من قام بهذا الصنيع. لا أحد طلب منهم إبراز تصاريح عملهم، وفقاً لمصدر محلي، فالفساد متفشٍ في المدينة لأن عصابات من الشبيحة هي من يدير المشهد.

يبدو نظام الأسد غير راغب في -أو عاجز عن- كبح جماحهم، فيغض الطرف عن نهبهم لبيوت السكان المحليين. يقول أحد سكان حلب: "هناك تراتبية بالنسبة للمسروقات: أجهزة التلفاز للضباط، الثلاجات والغسالات لصف الضباط، والخشب وتمديدات الأسلاك المستخرجة من بيوت الناس المهجورة للرتب الأدنى. إنه أمرٌ مقزز، نحن نرى الشاحنات المحملة بالمسروقات وهي تقاد مبتعدة في وضح النهار؛ لا لزوم لفعل ذلك سرّاً... إنها مكافأتهم على ولائهم. إننا نعيش زمن القرون الوسطى". مناطق بكاملها شرق المدينة وفي مركزها قد دمرت بقصف جوي روسي وسوري، وبتفجيرات الأنفاق المضخخة من قبل المتمردين؛



## «Qui est ton Dieu wlaq?» السترات الصفراء

يقول نابليون بوناپرت: "في السياسة الغباء ليس عائقاً"، وهي مقولة في غموضها تحتمل وجهين للتفسير. هناك أمثلة يومية في عالمنا للغباء السياسي، وهذا شائع في الواقع، لكن نماذج محددة تطرح نفسها على الدوام بقوة كأمثلة إكلينيكية لـ"الغباء المتذكي" وهذه تحديداً لا أحد أكثر "براعة" من نظام الأسد وحلفه الإيراني بها.

هناك تفسير "فلسفي" آخر للسترات الصفراء في سوريا الأسد: هي انتقام إلهي من بلاد وقفت ضد القمع الوحشي في سوريا، وعلى الفرنسيين أن يدركوا قبل قوات الأوان أن الحرية التي جلبتها لهم الثورة الفرنسية الأولى هي خطأ كارثي ستصححه السترات الصفراء التي تتظاهر بحرية.

ومع أن حظ الفرنسيين السيئ حرمهم من الحصول على تفسير فلسفي من النمر قائد "الطراميح" لمصيرهم وفق نظرية "أعداء العالم"، فلربما يحصلون على بعض العزاء بتغريدة تحت وسم "السترات الصفراء" كتبها "رفيق بعثي" في اتحاد طلبة سوريا؛ ينصح فيها الطلبة السوريين في فرنسا بتجنب مواقع التظاهر، بل ويقدم وصفة "تعفيشة حرفياً" لاتقاء ومعالجة آثار الغاز المسيل للدموع.

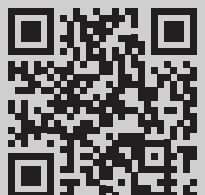
هناك غباء، وهناك غباء مضاد، ووحده حلف الأسد يجمع مجد الطرفين، فحتى نابليون ليس لديه تفسير لهذه الظاهرة.

بعيداً عن الإعلام الرسمي، هناك ما هو أكثر غباء. يبحث صغير على تويتر سيظهر أن تفسير "القوات الفكرية الرديفة"، التي يمثلها اليسار السوري الموالي للنظام وللرجعية الإيرانية واليمين البوتيني، لحركة السترات الصفراء التي تتظاهر ضد ضريبة الوقود -يا للمفارقة- هو أنها ثورة ماركسية لينينية جديدة تزلزل أركان الإمبريالية الفرنسية؛ بل إنها "كومونة" جديدة، وتباشير عصر البروليتاريا الأوروبية التي ستنتهي أكذوبة الديمقراطية الليبرالية.

لكن هناك مشكلة، فهذا الرهط المستبعت والعاشق للديكتاتورية العسكرية، أيا تكن صفتها، يمين، يسار، رأسمالية، اشتراكية، قومية، دينية أو حتى فاشية.. كان سينقلب ضد السترات الصفراء ويحيل أعضائها إلى "جرائم" لو أن ماكرون قصفهم بالطائرات، أو أنه أرسل شبيحة يدعسون على رؤوس الناس وهم يصرخون Qui est ton Dieu wlaq "مين ربك ولاك؟"

قد لا يعرف كل الفرنسيين تفاصيل ما يجري في سوريا، لكنهم يتذكرون حتماً أن بلادهم شاركت في ضربات محدودة ضده بعد أن استخدم السلاح الكيماوي ضد المدنيين. ومهما كان موقفهم من رئيسهم إيمانويل ماكرون، فسيبدو مثيراً للسخرية عندهم -كما هو عندنا- أن يكون إعلام السفاح بشار الأسد وحليفه الإيراني هو من ينوح الآن على "همجية" الشرطة الفرنسية، وهو ذاته الذي يبشر بالثورة الفرنسية الثانية، وتنتشر صفحة الإذاعة والتلفزيون الرسمية لديه صوراً لـ"قمع التظاهرات".

بل وينشر شبيحته صوراً لجادة الشانزليزية في حالة فوضى لمقارنتها مع دمشق "الهائلة" الأمانة والسعيدة؛ والتي ينتظر سكانها بهدوء وطني لساعات في طابور يمتد لكيلومترات كي يحصلوا على أسطوانة غاز منزلي... لا تسمحوا لتسرعكم أن يقودكم إلى استنتاج خطأ، فالغاز ليس وقوداً مثل ذلك الذي أحرق باريس بالتظاهرات، وما هو وقود في فرنسا الفاشلة ليس وقوداً في دولة الأسد السعيدة.



# تادف



عدسة ياسين العبدالله - خاص عين المدينة